تحديات العولمة ودور التربية الإسلامية في مواجهتها

د. محمد الصائم عثمان
كلية المعلمين في بيشه
المملكة العربية السعودية

الملخص

هدفت الدراسة إلى الوقوف على ماهية العولمة، وأهم مرتكزاتها، ووسائلها، حيث تباينت الرؤى حول مفهوم العولمة بين المرحب كل الترحيب، والرافض كل الرفض، والواقف منه موقفاً وسطاً. فمنهم من يرى أنه فتح حضاري فصفق له قبولاً وإعجاباً وترويجاً، ومنهم من يراه غزواً ثقافياً وحضارياً فأشاح بوجهه عنه رفضاً وتحذيراً. وهكذا انقسم حوله المنظرون بين حالم مستبشر به، وبين متشائم منه. ثم تناولت الدراسة إيجابيات العولمة وسلبياتها، ودور التربية الإسلامية في مواجهتها.

واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي الذي يهدف إلى دراسة الظواهر والعلاقات كما هي موجودة، وتفسير المشكلات التي تتضمنها، والإجابة عن الأسئلة الخاصة بها. ثم توصلت لبعض النتائج، ومن ثم اقترحت الدراسة بعض التوصيات التي تساعد المجتمع المسلم على مواجهة تحديات العولمة من دون ذوبان أو تبعية عمياء للغرب.

المقدمة

يعتبر مصطلح «العولمة» من أكثر المصطلحات التي لاقت شيوعاً وانتشاراً في السنوات الأخيرة الماضية، في كافة الأوساط الاقتصادية والسياسية والعلمية والثقافية والإعلامية والتربوية. والعولمة التي نعيشها اليوم ظاهرة لها جذورها، إذ هي نتيجة لتداعيات تاريخية نجمت عن الثورة الصناعية التي انفجرت منذ قرنين من الزمان، فأحدثت انقلاباً في عوامل الإنتاج، وأفرزت منهجين، أحدهما اشتراكي، والآخر رأسمالي، وبذا تحول النظام العالمي إلى قطبين أحدهما المعسكر الشرقي الاشتراكي، والثاني المعسكر الغربي الرأسمالي. ومع نهاية

الثمانينات من هذا القرن، انهار المعسكر الشرقي (الاتحاد السوفيتي) كأكبر ترسانة للنظام الاشتراكي، فحسم الصراع لصالح الرأسمالية، وتحول العالم إلى نظام القطب الواحد، الذي أخذ يفرض منهجه على العالم من خلال العولمة.

ونجد في عالمنا العربي والإسلامي، تباين الرؤى حيال العولمة بين المرحب كل الترحيب والرافض كل الرفض، ومن يقف منها موقف الوسطية والتوفيقية. فالاتجاه الأول يرى في العولمة واقعاً موضوعياً يجب التكيف والتعامل معها والاستفادة منها، أما الاتجاه الثاني فيرى العولمة على أنها استراتيجية غربية أمريكية تهدف إلى تحديد المرحلة الإمبريالية ولذلك لا مناص من التصدي لها ومقاومتها. وقد تناول كثير من الباحثين مصطلح العولمة الذي ما لبث يملأ الدنيا ضجيجاً، فمنهم من يرى أنه فتح حضاري فصفق له قبولاً وإعجاباً وترويجاً، ومنهم من يراه غزواً ثقافياً وحضارياً فأشاح بوجهه عنه رفضاً وشتماً وتحذيراً، وهكذا انقسم حوله المنظرون بين حالم مستبشر به، وبين وجل متشائم منه، إلا أن الباحث يرى في العولمة نظاماً عالمياً جديداً يقوم على العقل الإلكتروني، والثورة المعلوماتية والإبداع التقني غير المحدود الذي ينبغي أن نعايشه ونتعامل معه بموضوعية وواقعية.

ونظراً لأن الدعوة إلى العولمة قد ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية في البداية، كما أن الشركات الأمريكية تسيطر على السوق العالمية، فإن كلمة عولمة أصبحت مرادفة لدى معظم الشعوب لكلمة «أمركة» Americanisation؛ (إسماعيل، ٢٠٠١م: ٣٥). ويرى البعض أن ظهور العولمة يكمن في سعي القوى المسيطرة على العالم، وهي القوى الصناعية والشركات الكبرى، إلى استغلال التقدم التكنولوجي من أجل توسيع دائرة نفوذها، لذا فالعولمة ثمرة لقاء وتطورات الثورة المعلوماتية، واستراتيجية جديدة لقوى رأس المال العالمي.

وثمة فرق بين عالمية الإسلام والعولمة، فالإسلام يقوم على العدل وإنصاف المظلوم، ويرفض الاعتداء، أما العولمة فتعمل لصالح الاستكبار الغربي ضد مصالح الشعوب الفقيرة. والإسلام يأمرنا نحن المسلمين أن نكون ويكون «الآخرون» كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ

وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ (الحجرات: ١٣)؛ لذا فالإسلام مع العولمة التي تعنى بالإخاء والتعاون، والوعي بقضايا العالم ومشكلاته ومخاطره، مثل قضايا الفقر والجوع وندرة المياه، وقضايا البيئة والتلوث والتصحر والأخطار النووية ومشكلة طبقة الأوزون، فضلاً عن حقوق الإنسان الفردية والعامة، وبخاصة حقوق المرأة والأطفال، والأقليات العرقية والمهمشين، ناهيك عن الخصوصيات الثقافية والهويات الحضارية، فالبشر جميعاً على كوكب واحد «كوكب الأرض» وعليهم جميعاً إنقاذ هذا الكوكب.

مشكلة الدراسة

وصف الكاتب الأمريكي (وليم جريدر) في كتابه الصادر عام ١٩٧٧م بعنوان «عالم واحد.. مستعدون أم لا» (One World: Ready or No) العولمة «بأنها آلة عجيبة نتجت عن الثورة الصناعية والتجارية العالمية، وأنها قادرة على الحصاد والتدمير، وأنها تنطلق متجاهلة الحدود الدولية المعروفة، وبقدر ما هي منعشة، فهي مخيفة. فلا يوجد من يمسك بدفة قيادتها، ومن ثم لا يمكن التحكم في سرعتها واتجاهاتها» (http://www.aliman.org/awlama.thm).

إن العولمة التي تفرض نفسها على الأمم والشعوب، هي شكل من أشكال التحديات الحضارية وهي لون من ألوان الإمبريالية الثقافية، من شأنها فرض الحضارة الغربية على الفكر الإنساني. ولم تكن العولمة العربية قهراً لبقية الحضارات، بل كانت مداً ثقافياً استوعب باقي الحضارات، وحافظ على هويتها الثقافية، بعد أن أمدها بقيم إسلامية وعربية لخدمة الإنسان، وليس لاستغلاله وقهره. وإذا كانت العولمة قادمة بقوة فإنه ينبغي أن يكون تعاملنا معها بقدر مواز لها؛ لنجابه تياراتها بحكمة العاقل الذي يأخذ من الشيء أحسنه، ويُكيف وضعه كي يتجنب مساوئها ويتفادى مخاطرها وسيئاتها، والحد من تأثيراتها على المجتمع، ذلك لأن العولمة سوف تصبغ العالم بصفة الشمولية، والتشابه في السلوكيات والتصرفات، وتصميم نموذج حياتي مُوَحَّدٍ؛ (الياسين، ١٤٢٢هـ: ١٩).

تساؤلات الدراسة

وانطلاقاً مما سبق يمكن القول بأن العالم العربي والإسلامي مواجه بعدة مشكلات من جراء العولمة، حيث إنها آلة حصد وتدمير للشعوب الضعيفة التي لا تستطيع أن تصمد أمامها، وهي محاولة لفرض الحضارة الغربية على الأمة العربية والإسلامية، وإحداث الهيمنة السياسية والفكرية، وطمس الهوية الثقافية، وسيادة اللغة الإنجليزية على حساب اللغة العربية – لغة القرآن الكريم.

وتسعى الدراسة الحالية إلى الإجابة عن التساؤل الرئيس التالي:

ما العولمة وما دور التربية الإسلامية في مواجهة تحدياتها؟

ويتفرع من هذا السؤال الرئيس عدة أسئلة فرعية، هي:

- ما العولمة؟ وما مرتكزاتها ووسائلها؟
- ما إيجابيات العولمة؟
- ما سلبيات العولمة؟
- ما تحديات العولمة التي يواجهها مجتمعنا العربي وتعليمه؟
- ما دور التربية الإسلامية في مواجهة تحديات العولمة؟

أهداف الدراسة

تتحدد أهداف الدراسة في:

١ – التعرف على ماهية العولمة وركائزها ووسائلها ومحاولة التكيف مع طروحاتها والإفادة منها.

٢ – الاستفادة من إيجابيات العولمة تمشياً مع قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «العلم ضالة المؤمن فخذوه ولو من أيدي المشركين، ولا يأنف أحدكم أن يأخذ الحكمة ممن سمعها».

٣ – محاولة وضع خطة مواجهة تربوية تقوى على صد آثارها السلبية على الأمة الإسلامية.

أهمية الدراسة:

١ - هذه الدراسة هي دعوة إلى التعامل الواعي مع العولمة، وقبولها أو رفضها من موقف المعرفة والإدراك لا من موقف الجهل أو التجاهل.

٢ - دراسة ما سوف تحدثه هذه الظاهرة من قيم اقتصادية واجتماعية وثقافية، إذا كنا نريد أن يكون لنا مكان تحت شمس القرية الكونية التي يؤسسها العالم في عصر العولمة.

٣ - كشف الحاجات الملحة التي يجب أن تنبري مؤسساتنا التربوية لتبنيها لمواجهة العولمة.

٤ - مواجهة التحديات الكبيرة التي تبدو متسارعة أمام الدول النامية في شتى المجالات الاقتصادية والتقنية والثقافية والاجتماعية... إلخ.

٥ - إبراز أهم الأدوار التي ينبغي أن تقوم بها التربية الإسلامية لمواجهة تحديات العولمة.

منهج الدراسة

تتبع هذه الدراسة المنهج الوصفي الذي يهدف إلى دراسة الظواهر والمواقف كما هي موجودة، للحصول على وصف دقيق لها يساعد على التعرف عليها وتفسير المشكلات التي تتضمنها، أو الإجابة عن الأسئلة الخاصة بها؛ (محمود ومنسي، ١٩٨٣: ١٨).

أي المنهج الذي يقوم بوصف ما هو كائن وتفسيره، والخروج بالاستنتاجات ذات الدلالة والمغزى بالنسبة إلى المشكلة المطروحة للدراسة (جابر وكاظم، ١٩٨٦: ١٣٨).

خطوات الدراسة

للإجابة على مشكلة الدراسة وتساؤلاتها ستتبع الدراسة الخطوات التالية:

- أولاً: ماهية العولمة ومرتكزاتها ووسائلها.

- ثانياً: الآثار الإيجابية للعولمة.
- ثالثاً: الآثار السلبية للعولمة.
- رابعاً: تحديات العولمة التي يواجهها مجتمعنا العربي وتعليمه.
- خامساً: دور التربية الإسلامية في مواجهة تحديات العولمة.
- سادساً: نتائج الدراسة.
- سابعاً: توصيات الدراسة.

أولاً – ماهية العولمة ومرتكزاتها ووسائلها:

أ – ماهية العولمة:

مصطلح العولمة بالإنجليزية، Globalization وهو مشتق من كلمة Globe وتعني الكرة الأرضية؛ أي أن العولمة هي إكساب الشيء طابع الكونية.

فالعولمة ليست نتاج اليوم ولا الأمس القريب، إنما هي وليدة مخاض طويل استغرق قروناً مديدة. والجديد فيها هو تزايد وتيرة تسارعها في الفترة الأخيرة، بفضل تقدم وسائل الاتصال والإعلام، ووسائل النقل والمواصلات، والتقدم العلمي والتكنولوجي بشكل عام. وهي في حقيقتها مرحلة جديدة من مراحل التطور الرأسمالي. والرأسمالية كما هو معلوم تجدد نفسها، وهي «لا تكتفي بتجديد نفسها، بقدر ما تضيف إلى نفسها ما يجعلها رأسمالية أعلى مما كانت عليه سابقاً، وكأنها مخالفة لما كانت عليه، ولو لم تكن كذلك، لما كان لها هذا الحضور؛ (محمود، ١٩٩٨: ١٧٤).

والرأسمالية لا يمكن لها أن تستمر وتزدهر إلا إذا كانت ساحتها هي العالم كله، بل يمكن القول أن هذا يمثل فلسفة وروح الرأسمالية: «إذ لا رأسمالية بدون أسواق خارجية، ولا أسواق خارجية بدون الوصول إلى مرحلة معينة من تطور الإنتاج، كما أنه لا يمكن تصور أسواق خارجية بدون سيطرة

سياسية واقتصادية للدولة الرأسمالية على هذه الأسواق وحمايتها» (البابا، ١٤٠٦هـ: ٣٦).

والعولمة من منظور اقتصادي، كما يراها (هانس وشومان) في كتابهما «فخ العولمة» «تعني انصهار العدد الهائل من الاقتصاديات القروية والإقليمية والوطنية في اقتصاد عالمي شمولي واحد، لا مكان فيه للخاملين، بل يقوده أولئك الذين يقدرون على مواجهة عواصف المنافسة الهوجاء؛ (هانس وشومان، ١٤١٩هـ: ٤٩).

أما تعريف العولمة من منظور سياسي، كما يراها (شاهين) فهي اتجاه الحركة الحضارية نحو سيادة نظام واحد تقوده في الغالب قوة واحدة، بمعنى استقطاب النشاط السياسي والاقتصادي في العالم، حول إدارة مركز واحد من مراكز القوة في العالم، والمقصود طبعاً قوة الولايات المتحدة الأمريكية؛ (شاهين، ١٤٢٠هـ: ٣٧).

ويرى (إدريس هاني) في كتابه «العرب والغرب أية علاقة أي رهان؟» أن العولمة من منظور ثقافي هي محاولة فرض ثقافة الأقوى والأغنى، واستبدالها بالثقافات المحلية؛ (هاني، ١٩٩٨: ١٥٨).

ويعرف (Longchar) العولمة بأنها مرحلة حديثة من مراحل التطور الرأسمالي، وهي بالتالي عملية تغير اجتماعي تتراجع فيه الحواجز الجغرافية والثقافية نتيجة لسهولة المواصلات والاتصالات في عالم أصبح قرية صغيرة؛ (Longchar, p.1).

ويرى McGrew أن العولمة أكثر من مجرد علاقة بين دولة وأخريات، وهي أكثر من مجرد «دولية»، فالعولمة ليست حالة ثابتة، وإنما هي عملية تحول تشمل عدة عمليات: واحدة تختص بتنافس الدول الكبرى، وثانية تختص بالإبداع والانتشار التقني، وثالثة تختص بالإنتاج والتجارة، ورابعة تتعلق بالتحديث والمجتمعات؛ (أحمد، ١٩٩٨: ٥٢).

وتعددت تعريفات العولمة وتفرعت، فالبعض يعتبرها ظاهرة تاريخية لا جغرافية، وفلسفة لا مركزية - اقتضتها طبيعة المرحلة الراهنة - قادرة على اختراق كل الحدود، متغلغلة في كل الجزئيات، نافياً كونها أيديولوجياً معينة، أو مذهباً سياسياً، أو معتقداً فكرياً. بينما يراها البعض الآخر مرادفة للهيمنة الساعية لنفي الآخر، وسلب خصوصيته تكريساً لمبدأ التابع والمتبوع؛ (الفيفي، ١٤٢٥هـ: ٢٥).

ويورد (عايل) عدة تعريفات للعولمة منها:

* العولمة هي الأداة الحقيقية الأولى والمعاصرة والشاملة لمدى النمو والانتشار الذي حققته الشركات (المتعدية) الجنسيات وليست المتعددة الجنسيات.
* العولمة هي الاستعمار بثوب جديد، ثوب المصالح الاقتصادية، بمعنى توسيع النموذج الغربي، وفسح المجال له ليشمل العالم كله، فهي بذلك ترادف الأمركة.
* العولمة هي الكونية والسيطرة والهيمنة، أو بمعنى آخر الأمركة في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية.. إلخ (عايل، ١٤٢٥هـ: ١٣-١٤).

أما (محمد عابد الجابري) فيفرق بين العولمة Globalization وهي عنده إرادة للهيمنة، وبالتالي فهي تعني قمع وإقصاء للخصوصي، وبين العالمية Universalism والتي تعبر - حسب تصوره - الارتفاع بالخصوصية إلى مستوى عالمي، بمعنى أن العولمة احتواء للعالم، والعالمية تفتح على ما هو عالمي وكوني؛ (الجابري، ١٩٩٨: ١٧).

ويرى (إبراهيم حمدان) العولمة بأنها نظام غربي حديث، يمتلك زمام التكنولوجيا ويسعى نحو تحقيق أهداف وغايات كبرى في مقدمتها الإحاطة باقتصاد العالم ومقدراته، وصولاً إلى نسيجه الاجتماعي والثقافي والسياسي، من خلال إقامة نظام كوني بديل تذوب فيه الثقافات القومية المتنوعة لتحل مكانها - أو تكرس - حضارة كونية عالمية موحدة. وفي ذلك انقلاب في طبيعة

العلاقات التي تربط الإنسان بواقعه وتاريخه الحضاري وميراثه الثقافي؛ (حمدان، ١٤٢٤هـ: ٦).

وخلاصة القول: إن العولمة مصطلح غامض في أذهان كثير من الناس، وليس هناك تعريف جامع مانع للعولمة، بل إن هناك من يستغرب إضاعة الوقت والجهد في محاولة إيجاد تعريف لها؛ لأنها ليست مصطلحاً لغوياً معجمياً جامداً يسهل تفسيرها بشرح المدلولات اللغوية المتصلة بها، بل هي مفهوم شمولي يذهب عميقاً في جميع الاتجاهات لتوصيف حركة التغيير في سيرورتها المتصلة. لذا يرى الباحث أن العولمة تعني تعميم نموذج الحضارة الغربية، وأنماطها الفكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية على العالم كله. إنها منظومة متكاملة يرتبط فيها الجانب السياسي بالجانب الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، ولا يكاد يستقل جانب بذاته، وآلة ذلك كله التي لا تنفصل البتة عن أي شكل من أشكال العولمة هو الإعلام بوسائله المتعددة.

ب - مرتكزات العولمة:

المرتكز الأول - الاقتصاد: يستحوذ المجال الاقتصادي أكثر من غيره من المجالات الأخرى، بل يكاد يشكل قطب الرحى في فكرة العولمة؛ وهو بهذا يعتبر الركن الأساس في هيكل مفهومها، وهذا يعني تقديم أسلوب حياتي جديد، تعتنقه الشعوب في صياغة موحدة، يربط بينها مناخ اقتصادي يسمح بمنافسة قوية، تكون في صالح الاقتصاد الأقوى على حساب المنافس الأضعف، وفق مبدأ البقاء للأصلح، بغض النظر عن حقوق الجانب الآخر، وبهذا تتم الهيمنة على الأسواق من قبل القوى الكبرى، وبالتالي يتم تذويب العالم في بوتقة العولمة؛ (الياسين، ١٤٢٢هـ: ٢٥).

المرتكز الثاني - تكنولوجيا المعلومات: فمن خلال تقنيات العصر المذهلة في عالم الأقمار الصناعية، والإنترنت، والبث المباشر، والبريد الإلكتروني، والهاتف والفاكس، والهاتف الجوال، والتليفزيون الرقمي، أصبح العالم قرية كونية صغيرة. فلقد أوجدت هذه التقنيات لنفسها واقعاً مغايراً، وفرضت

منطقها وذوقها، بل ميزت عصرها عن بقية العصور، فتعددت مسميات العصر: فهو عصر الاتصالات والمعلومات والحاسبات وأخيراً الإنترنت.

لقد استطاعت هذه التقنية أن تقتحم كثيراً من الحواجز المادية والمعنوية، وأزالت الكثير من العراقيل أمام البث الإعلامي وما يحمله في طياته من فكر وتوجيه وثقافة وتربية...

لقد حولت هذه الآلات التقنية العالم إلى (قرية واحدة)، فعن طريقها تسارعت تطبيقات العولمة في كثير من المجالات. ويقف الجميع مبهوراً أمام سرعة التطبيق لهذه الآلات ذات الأثر الرهيب في تجسيد واقع العولمة. إن دور هذه التقنيات في خدمة ظاهرة العولمة: يجعل العالم يعيش بهوية واحدة، وجنسية واحدة، وبدون حدود، وهذا ما تطمح إليه ظاهرة العولمة، بل هو هدفها الذي تسعى إليه، وهو رؤية العالم وقد توحد في كل شيء؛ (ردود، ١٤٢٢هـ: ٣٨).

المرتكز الثالث - الثقافة: يمثل مصطلح الثقافة الضلع الثالث لمثلث العولمة وبذلك يكتمل البناء الهيكلي لهذه الظاهرة، لتصبح قائمة على ثلاثة مرتكزات، يمثل كل مرتكز رأساً من رؤوس مثلث العولمة، فالاقتصاد رأس، والتقنيات رأس، وتأتي الثقافة لتمثل الرأس الثالث. وبهذا لا يمكن إهمال الثقافة إذا أرادت العولمة أن تحقق هدفها المنشود الداعي للتوحد والدمج. وفي ذلك يقول صاحبا كتاب فخ العولمة: إن ثمة جهوداً خارقة تبذل لكي يتخذ العالم صورة واحدة، ولا ريب في أن المحصلة النهائية لمثل هذا التطور ستكون في المجال الثقافي؛ (هانس وشومان، ١٤١٩هـ: ٤٣).

إن مراد العالم الغربي الذي يتمثل في توحيد صورة العالم، مخالف لما عليه طبائع الأشياء، وفطر الناس وما جبلوا عليه، إذ التباين والاختلاف أصل ظاهر من أصول النوع الإنساني، وسمة من أبرز سماته، ومن يقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ (هود: ١١٨)، يدرك بجلاء أن التنوع والتعدد مقصود إلهي في الخلقة الإنسانية، لما يترتب عليه من تكامل وتواصل وتنام.

المرتكز الرابع - السياسة: فالصورة الدولية للعولمة أخذت تتبلور في وجود سيادة عالمية فوق سيادات الدول، من حقها أن تخترق سيادات الدول الأخرى باسم الشرعية الدولية، وحقوق الإنسان، وأوجدت لها منظمات منتشرة في دول العالم تروج لها وتفتح الطريق أمامها. فالرئيس الأمريكي السابق كلينتون لم يتردد في التصريح بذلك غداة تسلمه الرئاسة في ولايته الثانية، إذ قال إن الأمة الأمريكية أمة عظيمة لها الحق في تسلم السيادة العالمية؛ (عشقي، ٢٠٠٢م: ١٣٩). وإذا لم تبادر دول العالم الثالث بالدفاع عن وجودها ومكتسباتها، فإن أمريكا سوف تفرض خطها الذي يخدم مصالحها السياسية فيصبح قانوناً يفرض على دول العالم أجمعها.

ج - وسائل العولمة:

قبل نهاية الحرب العالمية الثانية بدأ الحلفاء التفكير في وضع أسس لنظام دولي جديد يتفق مع تصوراتهم لعالم ما بعد الحرب (الببلاوي، ١٤٢١هـ: ٤٠) وتم الاتفاق على إنشاء عدد من المنظمات الدولية لتشرف على قيام النظام العالمي الجديد، ومن أهم هذه المنظمات:

١ - هيئة الأمم المتحدة: لقد تم إنشاء هيئة الأمم المتحدة لتحل محل عصبة الأمم عام ١٩٤١م، وهي تضطلع بالمفهوم السياسي للعولمة، والعمل على تهيئة الشعوب نفسياً للانخراط في فكرة حكومة العولمة (الخضيري، ٢٠٠٠م: ٧١) فأصبحنا نسمع كثيراً عن تدخلات في الشؤون الداخلية لكثير من البلدان من أجل تغيير واقعها السياسي نحو العولمة من خلال ما أسموه بالشرعية الدولية؛ (ردود، ١٤٢٤هـ: ٤٥).

٢ - البنك الدولي للإنشاء والتعمير: من المنظمات التي تلعب دوراً بارزاً في عملية العولمة، وقد أنشئت هذه الآلية عام ١٩٤٥م كمنظمة دولية ذات نفوذ واسع ودور فعال. وبدأ البنك يدعو إلى تشجيع دور القطاع الخاص، وتقليص دور الدولة؛ (الببلاوي، ١٤٢١هـ: ٤٩). وهي دعوة لها تبعات

اجتماعية خطيرة مثل: ازدياد عدد العاطلين عن العمل، وتعميق الفقر، بجانب استغلال القروض التي يقدمها البنك للدول التي تلجأ إليه كوسيلة ضغط لإملاء شروطه على الدولة المقترضة، لتسير وفق خطط وطموحات العولمة؛ (ردود، ١٤٢٤هـ: ٥١).

٣ - صندوق النقد الدولي: عهد إليه بوظيفة دعم واستقرار أسعار الصرف بين الدول الأعضاء؛ (الخضيري، ٢٠٠٠م: ٥٧). فالصندوق دعم الكثير من الدول وأمدها بالخبرات والمال الذي تحتاجه للخروج من وضعها الاقتصادي الذي تمر به، ولكنه شرط على هذه الدول شروطاً يخدم من خلالها ظاهرة العولمة؛ (ردود، ١٤٢٤هـ: ٥١) فالهدف من تقديم القروض إيجاد آلية لاختراق تلك الدول، وتمهيداً لإحكام السيطرة عليها، وهذا ما يؤكده إسماعيل، إذ يقول: إن مشكلة المديونية الأجنبية قد أعطت فرصة للدول الدائنة والمؤسسات المالية التي تهيمن عليها لكي تتدخل في شؤون الدول المدينة، وتمس سيادتها، وتهدد استقلالها السياسي والاقتصادي ولتقرض ما تراه من وجهة نظرها؛ (إسماعيل، ١٤١٦هـ: ٤٤).

٤ - منظمة التجارة العالمية: يقول الخضيري هي أخطر المؤسسات المتعلقة بالعولمة باعتبارها المشرفة على نظام التجارة العالمي الجديد؛ (الخضيري، ٢٠٠٠م: ٧٤) ويؤيد هذا الرأي (سمير صارم) حيث يقول: تعد منظمة التجارة العالمية من أكثر المنظمات قوة في العالم، إذ إنها تتمتع بسلطات تفوق سلطات الحكومات، وتستطيع ضرب القوانين التي توافق عليها أقوى وأكثر الحكومات ديمقراطية، كما تستطيع شن الحروب التجارية، كما يمكنها جعل بنود الاتفاقيات الدولية التي صدقت عليها دول العالم الثالث بلا قيمة؛ (صارم، ١٤٢١هـ: ٢١). وهذا دليل واضح يبرز مدى هيمنة المنظمة كشخصية وآلية فاعلة ومؤثرة في ظاهرة العولمة، فهي تلتقي مع العولمة في العديد من وجهات النظر التي تفعل من خلالها قيم

ومبادئ ظاهرة العولمة، ومن ذلك فتح الحدود، وتحجيم دور الدولة، وإقامة العديد من الأسواق الدولية، وتصدير وترويج ثقافات الدول الصناعية مما سيلحق الضرر بثقافات الدول النامية، ويؤدي إلى اختراق واضح للخصوصيات والهويات؛ (ردود، ١٤٢٤هـ: ٦١).

٥ - منظمة اليونسكو: تم إنشاؤها عام ١٩٤٦م ومقرها باريس بفرنسا، هي إحدى المنظمات التابعة لهيئة الأمم المتحدة، والتي تتطلع بالجانب التربوي والعلمي والثقافي. فالمنظمة تسعى إلى إيجاد وتكوين رؤية ثقافية واحدة تتفق مع ظاهرة العولمة. ويقول (اسكندر الديك) إن نشوء منظمة اليونسكو جاء ليعزز الرغبة الدولية الجامحة إلى منبر عالمي يكون جزءاً من نظام التعاون الدولي المعاصر في مسائل التربية والعلم والثقافة؛ (الديك، ١٤١٣هـ: ١٠).

٦ - الشركات متعددة الجنسيات: فهي تمثل ذراع العولمة الاقتصادية، وتمثل إحدى تطبيقات العولمة، وذلك بتواجدها في كل مكان من الكوكب الأرضي. وملاك هذه الشركات العملاقة هم في الحقيقة المحركون والمسيرون لظاهرة العولمة. ويقول (اليحياوي) إن الشركات الكبرى هي الفاعل المركزي في العولمة، وهي مركز السلطة الأولى بما لديها من قدرة على الهيمنة الفعلية والاحتكار للأسواق، لضمان عدم وجود منافس، وكذلك قدرة هذه الشركات على الضغط على الحكومات والقوى السياسية لتغيير مواقفها بما يخدم مصالح ملاك هذه الشركات؛ (ردود، ١٤٢٤هـ: ٦٣-٦٥).

ويضيف (عشقي) بأن سياسة السوق وفتح المجال أمام الشركات الكبرى متعددة الجنسيات للقيام بالاستثمار غير المباشر في دول العالم الثالث، والاعتماد على خصخصة الشركات الوطنية دون خطط متأنية ومدروسة، قد أدى إلى انهيار الاقتصاد الوطني للدول التي انصاعت لشروط صندوق النقد الدولي؛ (عشقي، ٢٠٠٢م: ٤٧).

ثانياً - الآثار الإيجابية للعولمة:

يؤكد (مصطفى حجازي) على ازدواجية العولمة، ويرى أن لها جانبين بارزين. فهناك الجوانب الموضوعية التي جعلت تقنيات المعلومات والإعلام والاتصال تعم الكرة الأرضية، وهي عملية حضارية جديدة تسير في اتجاه النمو المتسارع لتقريب أبعاد العالم من خلال الفضاء (السيبرنطيقي) (Cyber Space)، مما يجعل المجال الحيوي كونياً في الآن واللحظة. وهناك الجانب السلبي الذي سيرد ذكره عند تناول سلبيات العولمة؛ (حجازي، ١٩٩٩م: ٢٠-٢١).

وترى (بثينة حسنين) أن العولمة تعني إزالة الحدود الاقتصادية والعلمية والمعرفية بين الدول، ليكون العالم أشبه بسوق موحدة كبيرة، تضم عدة أسواق ذات خصائص ومواصفات تعكس خصوصية أقاليمها، لذا تعتبر العولمة ظاهرة بشرية ومعرفية وموضوعية تعيشها دول العالم، فهي حالة تاريخية ناشئة عن تطور عالم البشرية ككل، وأسهمت فيه جميع حضاراتها وشعوبها؛ (عطية، ١٤٢٥هـ: ٢١٩).

ويشير حمدان إلى الجانب المشرق للعولمة والذي يتمثل في التكنولوجيا، التي تأتي في مقدمة التحديات التي أفرزتها العولمة، فهي الذراع الأقوى والسلاح الأخطر الذي كان وما زال يلوح به العولميون. فهناك ما يعرف بـ Hypertex Link وتعني الربط بين الصفحات بالنصوص المتشعبة مما يشكل شبكة عنكبوتية ضخمة، يمكنها أن تخزن عشرات الملايين من الصفحات أعدتها مؤسسات تربوية وحكومية، وخير ما يميز هذه الشبكات قابلية الوصول إلى تخومها، مما يجعلها في غاية الأهمية في الوسط التربوي والعلمي بشكل عام، فبوسع طلبة العلم والمهتمين، الاطلاع على عمل الآخرين، والتمكن من الوصول إلى مصدر المعلومات مما يوجد تعلماً نوعياً أصيلاً؛ (حمدان، ١٤٢٤هـ: ١٥-١٦).

ويقول (الماحي) لعل ما جعل العولمة تبرز آثارها في هذه المرحلة التاريخية التي يمر بها العالم، هو تعميق آثار الثورة العلمية والثقافية من جانب، والتطورات الكبرى التي حدثت في عالم الاتصال، التي يمكن القول إنها أحدثت

ثورة في العالم من خلال تطور الحواسيب الإلكترونية، والأقمار الصناعية، وظهور شبكة الإنترنت، بكل ما تقدمه للاتصال الإنساني من فرص؛ (الماحي، ١٤٢٥هـ: ٥٦).

ويؤكد (صلاح ردود) أن مظاهر العولمة الثقافية ليست خيراً محضاً ولا شراً محضاً، لذلك فإن مظاهرها سوف تكون جامعة للأمرين معاً، ولكن بنسب مختلفة. ولعل من أهم المظاهر الإيجابية للعولمة الثقافية التي تتوسل بالتكنولوجيا أداة لها هي:

* ازدياد قدرة الإنسان المتلقي لما يطرح عبر الإعلام على تجاوز الدائرة الضيقة - التي تفرض من قبل الإعلام المحلي - مما يسمح للفرد بأن يجوب العالم من مكانه الذي فيه، وبذا تتوسع دائرة ثقافته، وقدرته على المشاركة الفاعلة في الأحداث الجارية.
* فتح المجال أمام قضايا كان من الصعب الحديث عنها في ظل الاحتكار المحلي للإعلام، وفي ذلك إثراء للمعرفة، وتفهم لوجهات النظر المختلفة، وتقبل للرأي والرأي الآخر.
* توفر تدفق معلوماتي للمعرفة بشكل غير مسبوق، مما يشجع الباحثين والمؤلفين على الاستفادة الجادة من تلك الخدمة.
* كثرة ازدياد ساعات البث التليفزيوني الأرضي والفضائي، أدى إلى توفر مجالات العمل أمام العمالة بكافة تخصصاتها الإعلامية والفنية.
* توفير فرص فريدة للدعاة والمفكرين المسلمين من أجل الاطلاع على أحوال الأقليات الإسلامية في شتى بقاع الأرضو وتلمس حاجاتهم ومعاناتهم، وكذلك الاستفادة من تلك التقنيات في نشر الإسلام عبر وسائل تصل إلى كل مكان وتدخل كل بيت وفي أي وقت؛ (ردود، ١٤٢٤هـ: ٨٣).

ثالثاً - الآثار السلبية للعولمة:

أصبح التحدي الذي يواجه العالم في ظل العولمة أكثر حدة، وكما يقر بذلك كثيرون فإن للعولمة عواقب خطيرة وآثاراً غير محمودة وخصوصاً من

حيث عدم المساواة وعدم الاستقرار وفقدان السيادة الوطنية، وهي أمور قد تضعف النسيج الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في مجتمعات بلدان الجنوب غير المستقرة والمحفوفة بالمخاطر. ولا يمنع ذلك أنها قد تتيح فرصاً جديدة؛ (إسماعيل، ٢٠٠١م: ١٧).

ويورد (عطية) السلبيات التالية:

١ - إن العولمة يمكن أن تؤدي إلى صراع بين المحافظة على التراث والجذور الثقافية المحلية، والتحول نحو العالمية في الوقت ذاته، وقد تتسبب في تهميش بعض المجتمعات في العالم.

٢ - تتسبب العولمة في إحداث صراع بين الدول الغنية ذات القدرة الانتشارية بإمكانياتها المختلفة معلوماتياً، والدول الفقيرة معلوماتياً.

٣ - من الجوانب السلبية للعولمة سحق هوية الشخصية الوطنية المحلية، وسحق الثقافة والحضارة الوطنية، والسيطرة على الموارد المحلية وفرض الوصاية الأجنبية والإذلال.

٤ - في الجانب الاجتماعي يمكن للعولمة أن تجبر الدول الفقيرة أو النامية على تقليص برامج الرعاية الاجتماعية مما ينجم عنه تخلخل النسيج الاجتماعي.

٥ - وفي الجانب الثقافي، فإن الثقافة الجديدة تقوم بالغزو الفكري الذي يعني قهر الثقافة الأقوى للثقافة الأضعف.

٦ - قد تؤدي العولمة إلى غياب الضوابط والقواعد الحاكمة للسلوك، وظهور القوى الطاغية، والاستغلال والانتهازية.

٧ - تفرض العولمة تحدياً أمام المجتمعات النامية من الناحية الاقتصادية، حيث إن كل اقتصاد عليه أن يعتمد على ذاته في الأساس وتحت مسمع ومرأة من الجميع، وبالتالي لا تكون هناك فرصاً متساوية في مجال السوق العالمية؛ (عطية، ١٤٢٥هـ: ٢٢٠).

إن العولمة ظاهرة تقضي على الخصوصية التي تميز الشعب، وهي إعدام

لمعنى الانتماء للأمة والجماعة، وتذويب للفوارق التي تعني الأصالة والحضارة بكل أبعادهما الأخلاقية والتاريخية، وهي أولاً وأخيراً قدر مفروض على المغلوبين لمصلحة الغالبين؛ (شاهين، ١٤٢٠هـ: ٤٠).

ويقول روجيه جارودي: «لسنا وحدنا في العالم الإسلامي من يتخوف من العولمة، ففي داخل الأسرة الغربية من يحذر بشدة ويقاوم هذه الظاهرة، وفي مقدمة هؤلاء الفرنسيون والكنديون، فأوروبا التي استفادت طويلاً من الهيمنة الاستعمارية تخاف اليوم أن تصبح نفسها محتلة. فأوروبا التي كانت تشارك أمريكا في مسألة تميز الغرب، بدأت تستيقظ من سباتها العميق الذي كان يمنعها من أن تصدق أنها في سبيلها لتكون تابعاً لأمريكا إن لم نقل أنها مستعمرة من قبلها»؛ (جارودي، ١٩٩٩م: ١٦٢).

لقد أشار الرئيس الفرنسي (جاك شيراك) في كلمة ألقاها بمناسبة اليوم الوطني الفرنسي في ١٤ يوليو ٢٠٠٠م إلى مخاطر العولمة وإن كانت عامل تقدم، حيث قال:

* إنها تزيد ظاهرة الإقصاء الاجتماعي.
* إنها تنمي الجريمة العالمية.
* إنها تهدد أنظمتنا الاقتصادية. (http://www.aliman.org/awlama.htm).

رابعاً - تحديات العولمة التي يواجهها مجتمعنا العربي وتعليمه:

وبما أن العولمة ذات أبعاد كثيرة: اقتصادية، وسياسية واجتماعية وتقنية وثقافية وبيئية، أيديويولوجية فكرية. وكل واحدة من تلك الأبعاد لها تأثيرات إيجابية وسلبية على الموروث المحلي، فإنها تشكل الكثير من التحديات أمام دول العالم الثالث ومنها الدول العربية، ومن أهم هذه التحديات ما يلي:

١ - **التحدي الأول في الجانب الاقتصادي:** نلاحظ من التعريفات السابقة للعولمة التركيز الواضح على البعد الاقتصادي، ولا غرابة في ذلك لأن مفهوم العولمة قد برز في البداية في المجال الاقتصادي، وقد بات جلياً أن العولمة

تحركها أساساً أهداف اقتصادية. وكما قال (طرابيشي): «إذا كانت العولمة تعني أول ما تعني، عولمة الاقتصاد، فإن الوجه الآخر للميدالية هو «أقصدة» العالم، أي اختزال العالم إلى بعده الاقتصادي، وتحويل جميع مظاهر الحياة إلى مسائل اقتصادية، وربما تحديداً إلى بضائع. فالعولمة إذاً «تبضيع» للعالم، وتحويله إلى سوق، وتنصيب السوق ملكة على كل شيء»؛ (إسماعيل، ٢٠٠١م: ٤٥).

لقد ظهر السوق العالمي كقوة اقتصادية مهيمنة، فبينما تمتلك بعض الشعوب قدرات ومزايا اقتصادية هائلة، فإن البعض الآخر بدأ يكون أكثر اعتماداً على تلك القوى العظمى وبذلك فقد استقلاله.

إن اللاعبين الأساسيين في عملية العولمة، هم حكومات الدول السبع الكبرى المتمثلة في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا واليابان وألمانيا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا، التي تمثل الثقل الاقتصادي في العالم، فهي التي تتحكم في النظام النقدي، وفي التجارة العالمية بمساعدة الشركات متعددة الجنسيات، كما تعمل الديون الخارجية كأداة تحكم على الدول النامية التي أصبحت مهمتها توفير اليد العاملة الرخيصة، وتوفير المواد الخام. وبذلك تتسع الفجوة بين الأغنياء والفقراء على مستوى الأفراد والدول، وهكذا أوجدت العولمة حالة من التهميش والعزل والتمييز الاجتماعي بين الشعوب؛ (Longchar, p. 1-2).

إن «الترويج للعولمة اقترن بالترويج لمقولة «نهاية التاريخ» التي لا تقول في النهاية أكثر من أن النظام الاقتصادي الغربي هو أفضل النظم، وفي كل زمان ومكان، وبمقولة «نهاية عصر الأيديولوجيات»، وهي لا تعني في الحقيقة أكثر من أن الأيديولوجية الغربية (الأمريكية) هي الأحق بالحلول محل كل الأيديولوجيات الأخرى»؛ (إسماعيل، ٢٠٠١م: ٤٧).

ولا تعني بالنسبة للبلاد النامية سوى ضمها كمجرد سوق إلى المشروع العالمي للعولمة من دون أن يحسن بالضرورة مصلحتها الوطنية.

ويشير (حجازي) إلى المشروع الأيديولوجي، الذي يحاول تعميم السوق

وثقافته على العالم، في عملية تنميط أحادي، انطلاقاً من مركز الثقل المالي والتقني والإعلامي الراهن المتمثل في أمريكا. وهذا التنميط هو الذي يفرض صراعاً لا هوادة فيه، ما بين مؤيد ومتحمس وناقد ورافض، ولذا لم يتمكن بعد من فرض نموذجه بشكل نهائي؛ (حجازي، ١٩٩٩م: ٢١).

إن الحرية الكاملة التي تدعو إليها العولمة، هي حرية تستهدف الهيمنة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسياسية على باقي الأمم والشعوب، وهذا ما يؤكده الدكتور (أنور عشقي) من خلال مقولة أحد فلاسفة الغرب: «إن الملائكة الأطهار تبدو في عموميات العولمة، لكن الشياطين تسكن في تفصيلاتها»؛ (عشقي، ٢٠٠٢: ١٧). ومع كل ذلك فيجب الدخول في عصر العولمة - وهو أمر لا بد منه - وأن يكون هذا الانضمام مؤسساً على دراسة متأنية، مع الحذر من الوقوع في حبائل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، لأنهما من أخطر أذرع العولمة. فصندوق النقد الدولي يسدي النصح للدول، ويدعوها إلى إصلاح أوضاعها الاقتصادية وعلاجها من خلال (حزمة معيارية) تطبق على كل الدول، برغم اختلاف ظروفها الاقتصادية. ومنذ إنشاء الصندوق وحتى اليوم لا توجد تجربة واحدة ناجحة، تؤكد نجاح الصندوق في إصلاح اقتصاد دولة من دول العالم الثالث؛ (عثمان، ١٩٩٦م: ١٤٦).

ويرى (أنور عشقي) أن هذه السياسة وغيرها سوف تحول سكان العالم إلى طبقتين: طبقة الأغنياء بنسبة لا تتعدى ٢٠٪ من سكان العالم، وطبقة الفقراء بنسبة تتجاوز ٨٠٪ من سكان العالم؛ (عشقي، ٢٠٠٢م: ٤٥). إن تلك «الحزمة» بمثابة كلمة حق أريد بها باطل، فالدولة الأندونيسية استجابت لشروط الصندوق، فكانت النتيجة بطالة واسعة النطاق، واضطرابات وفتن كادت أن تعصف بوحدة هذا البلد الإسلامي، بل أدت إلى الإخلال بأمنه واستقراره؛ (عشقي، ٢٠٠٢م: ٤٦).

٢ - **التحدي الثاني في الجانب السياسي:** فالعولمة غربية في ملامحها وسماتها، وأمريكية في قيادتها وفي توظيفها، أي أن أمريكا تريد أن تجعل القرون

القادمة قروناً أمريكية كما قال الرئيس الأمريكي السابق (بيل كلينتون). والأمريكيون بدورهم لا يخفون رغبتهم في سيادة ثقافتهم ونموذجهم الحضاري، ويوضح (فريدمان) هذه الحقيقة حين يقول: «نحن أمام معارك سياسية وحضارية فظيعة، فالعولمة هي الأمركة، ولتحقيق هذا الهدف فإن (روثكوبف) يرى أن تسعى السياسة الخارجية الأمريكية إلى تحقيق النصر في معركة تدفق المعلومات في العالم، والهيمنة على موجات الأثير تماماً؛ (إسماعيل، ٢٠٠١م: ٤٨).

لقد أكد الرئيس الأمريكي الأسبق (جورج بوش) أثناء الاحتفال بالنصر في حرب الخليج الثانية "إن القرن القادم سيشهد انتشار القيم الأمريكية، وأنماط العيش والسلوك الأمريكي». لذا دعا إلى إقامة نظام عالمي جديد، عشية تحرير الكويت عام ١٩٩١م، تحت قيادة الولايات المتحدة الأمريكية. وقد عبر (كلينتون) عن هذا في حفل تنصيبه قائلاً: إن أمريكا تؤمن أن قيمها صالحة لكل الجنس البشري، وإننا نستشعر أن علينا التزاماً مقدساً لتحويل العالم إلى صورتنا؛ (إسماعيل، ٢٠٠١م: ٤٩).

٣ - التحدي الثالث في الجانب الثقافي: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لها تعريف خاص بالثقافة، تشير فيه إلى أن الثقافة هي التي تنظم جماع السمات المميزة للأمة من مادية وروحية وفكرية وفنية ووجدانية، وتشمل مجموعة المعارف والقيم وطرائق التفكير والإبداع الجمالي والفني والمعرفي والتقني، وسبل السلوك والتصرف والتعبير، وطرز الحياة، كما تشمل أخيراً تطلعات الإنسان للمثل العليا، ومحاولاته إعادة النظر في منجزاته، والبحث الدائم عن مدلولات جديدة لحياته وقيمه ومستقبله، إبداع كل ما يتفوق به على ذاته؛ (ردود، ١٤٢٤هـ: ٧٦).

وقد أشار تقرير التنمية البشرية إلى أن هناك شعوباً عديدة تشعر أن العولمة تشكل خطراً جسيماً على ثقافتها، «لأن عملية التبادل الثقافي أصبحت تسير باتجاه واحد، ولأن العادات والممارسات الثقافية الغربية هي التي أصبحت مسيطرة على جميع أنحاء العالم».

لقد دعا (دافايد روشكويف) أستاذ العلاقات الدولية بجامعة كولومبيا، الولايات المتحدة إلى استغلال الثورة المعلوماتية الكونية للترويج للثقافة والقيم الأمريكية على حساب الثقافات الأخرى، لأن الأمريكان أكثر الأمم عدلاً وتسامحاً وهم النموذج الأفضل للمستقبل، والأقدر على قيادة العالم؛ (http://www.aliman.org/awlama.htm).

والعولمة الثقافية وصلت إلى درجة الاختراق الثقافي بل والاكتساح الثقافي والمعرفي، فقد مضى زمن الحديث عن الغزو الثقافي والفكري، ومن الملاحظ أن العولمة تحمل في طياتها مشروعاً لتغريب العالم؛ لأن القيم النفسية والسلوكية والعقائدية الغربية هي المهيمنة على هذه العولمة الثقافية. ولعل أعظم سلاح يُستخدَم في هذه الأيام في المعركة الثقافية: هو اللغة، وتحديداً اللغة العربية؛ (http://www.alzatari.org/motamarat/6.thm).

إن التحدي الذي يواجه اللغة العربية في هذا العصر، مرده إلى الشعور المبالغ فيه بأهمية اللغة الأجنبية، الناتج غالباً عن الانبهار بكل ما هو أجنبي، والظن الزائف بأن التقدم لا يأتي إلا عن طريق إتقان اللغة الأجنبية للجميع، بل والتحدث بها بين العرب أنفسهم. إن هذا الشعور يأتي من الإحساس بالهزيمة النفسية التي يعاني منها الإنسان العربي في هذا العصر، والإعجاب المتنامي بصانع الحضارة المعاصرة الذي يمثل المنتصر والغالب. ومعروف رأي ابن خلدون في مثل هذه الحالة التي يعجب فيها المغلوب بالغالب فيتشبه به «في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده»؛ (الضبيب، ١٤٢٢هـ: ١٦).

وعندما ننظر إلى وضع اللغة العربية في سوق العمل، نجد أن المبالغة في أهمية اللغة الإنجليزية، واشتراط إجادتها كتابة وقراءة وتحدثاً من قبل الشركات الأجنبية وغير الأجنبية، قد أصبح ظاهرة تستحق الوقوف عندها وتأملها، بل وتأمل انعكاساتها على مصلحة الوطن، وملامح الهوية، ومن المتوقع أن تزداد مزاحمة اللغة الأجنبية للعربية شراسة في سوق العمل، مع استفحال ظاهرة العولمة، إذا ترك الحبل لهذه اللغة الأجنبية على الغارب؛ (الضبيب، ١٤٢٢هـ: ٢٠).

ويقول (شتراوس هوب) في كتابه (توازن الغد): «إن المهمة الأساسية لأمريكا توحيد الكرة الأرضية تحت قيادتها، واستمرار هيمنة الثقافة الغربية، وهذه المهمة التي لا بد من إنجازها بسرعة في مواجهة نمور آسيا وأيّ قوى أخرى لا تنتمي للحضارة الغربية». إذاً من الأهداف الثقافية للعولمة، فرض الثقافة الغربية الوافدة وجعلها في محل الصدارة والهيمنة في العالم، وقهر الهوية الثقافية للأمم والشعوب الأخرى، فالدساتير والنظم والقوانين والقيم الأخلاقية، يجب أن تستمد من الفلسفة المادية النفعية، ومن ثقافة الرجل الأبيض العلمانية؛ (http://www.aliman.org/awlama.htm).

لقد حققت العولمة اختراقات واضحة على المستوى الثقافي من خلال سيطرتها على تقنية الاتصالات الحديثة، حيث نجد اللغة العربية كأحد مكونات الثقافة العربية الإسلامية تعاني من حرب شعواء ضدها في كثير من المجالات ومحاولة النيل منها، والرغبة الأكيدة في عدم استخدامها، كما تظهر ذلك في اللوحات التجارية المنتشرة باللغة الإنجليزية سواء بالحروف الإنجليزية أم بالحروف العربية؛ (عايل، ١٤٢٥هـ: ١٧).

والتوجيه المبطن لعولمة اللغة تظهر في مقولة (ديفيد ريثكوين) حيث تقول: «إذا كان العالم يتحرك باتجاه لغة مشتركة، فإن هذه اللغة ستكون الإنجليزية. وقد بلغت درجة الإعجاب بلغة العولمة الرئيسة كما يراها الغرب - الإنجليزية - أن أطلق عليها الباحث الإنجليزي (ديفد كريستال) اللغة الكوكبية»؛ (حمدان، ١٤٢٤هـ: ٧-٨).

وإذا كان التنوع الثقافي مكسباً إنسانياً ثميناً، لأن ثراء الثقافات تكمن في تنوعها، إلا أن الحقيقة المؤلمة أن العولمة تدعو إلى الاختلاط والتوحيد (Unification) والتنميط (Uniformalisation) في حين تريد الجماعات المختلفة تأكيد هوياتها المتميزة، والمحافظة على ثقافاتها الخاصة؛ (إسماعيل، ٢٠٠١م: ٦٣).

ويورد (ردود) مجموعة من السلبيات على النحو التالي:

١ - تسعى العولمة الثقافية بهويتها الغربية نحو تعميق التعلق بمظاهر الحياة المادية، والإنكباب على شهواتها الحسية. وفي المقابل يتم إغفال الآخرة وإنكار الغيبيات، ووصمها وأصحابها بالخرافة والسذاجة.

٢ - عدم احترام المعتقدات الدينية والتلاعب بالمقدسات، وتحطيم قدسيتها لدى الناشئة لإبعادهم عن دينهم.

٣ - نشر التحلل الخلقي، وبالذات في ميدان المرأة التي عمد تجار العولمة إلى تسليع جسدها كما هو الحال في احتفالات اختيار ملكة جمال العالم، مما أجج مشاعر الشباب، وحرك غرائز المراهقين والمراهقات، مما يمكن تسميته (بثقافة الإسفاف) التي لا تتحرج بعض القنوات الفضائية من عرضها.

٤ - صرف همم الشباب إلى الانغماس في ممارسة هوايات وضيعة، كالرقص والغناء والاختلاط كما في (ستار أكاديمي) Star - Academy.

٥ - الترويج للتقليعات الغربية، وبثها في المجتمع المسلم بما يمثل خروجاً على قيمه وعاداته وتقاليده مثل أنواع الثياب، وأنماط الوجبات السريعة وطرق تناولها، وأساليب التعامل في المناسبات وغيرها، والتي عادة ما تكون دخيلة على أبناء المسلمين، وتمثل غارة ثقافية وحشية على أساليب وطرائق الحياة الثقافية الإسلامية؛ (ردود، ١٤٢٤هـ: ٨٤-٨٥).

ويقول الدكتور (محمد أركوت): «من المؤكد أن المستهدف بهذا الغزو الثقافي هم المسلمون لعدة أسباب منها:

١ - ما تملكه بلادهم من مواد أولية هائلة يأتي على رأسها النفط والغاز وثروات طبيعية أخرى.

٢ - ما ثبت لهم من خلال دراساتهم أن هذه الأمة قوية بدينها مستعصية على الهزيمة، إذا حافظت على هويتها الإسلامية ومن ثم فالطريق الوحيد لإخضاعها يتمثل في القضاء على الدين.

٣ - الحفاظ على أمن الكيان الصهيوني في قلب العالم الإسلامي، وهو من أهم أهداف العولمة»؛ (http://www.aliman.org/awlama.thm).

٤ - **التحدي الرابع في الجانب الاجتماعي:** تسعى العولمة إلى تعميم السياسات المتعلقة بالطفل والمرأة والأسرة وكفالة حقوقهم في الظاهر، إلا أن الواقع هو تعميم فكرة تحديد النسل، وتعقيم النساء، وتأمين هذه السياسات وتقنينها بواسطة المؤتمرات ذات العلاقة مثل: مؤتمر حقوق الطفل، مؤتمر المرأة في بكين، مؤتمر السكان بالقاهرة عام ١٩٩٤م، التي تخرج بتوصيات واتفاقيات تأخذ صفة الدولية، ومن ثم الإلزامية في التنفيذ والتطبيق، وهذا يتعارض مع حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «تناكحوا تناسلوا تكاثروا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة» الفتح الكبير (٥٤٦٥) عن سعيد بن أبي هلال مرسلاً عن ص٣٣ جـ٢.

ومن آثار العولمة في الجانب الاجتماعي زيادة معدلات نسبة الجريمة ليس في الدول النامية ومنها العربية وحدها، بل في كل الدول الأوروبية الغنية. وقد أكد هذا الأمر الكاتبان الألمانيان (هانس بيتر مارتين، وهارالد شومان) حيث قالا: ينتفع مرتكبو الجرائم متعددة الجنسيات أيضاً من إلغاء القيود القانونية المفروضة على الاقتصاد، فعلى مستوى كل البلدان الصناعية تتحدث دوائر الشرطة والقضاء عن طفرة بينة في نمو الجريمة المنظمة، ففي منظور الخبراء أضحت اليوم الجريمة المنظمة عالمياً، أكثر القطاعات الاقتصادية نمواً، إنها تحقق أرباحاً تبلغ خمسمائة مليار دولار في العام؛ (http://www.aliman.org/awlama.htm).

٥ - **التحدي الخامس في الجانب التقني:** إذا كنا نشهد الآن التقدم والتفوق التقني، وأن التقنية تقفز قفزات جبارة بفضل ما أتيح للعالم المتقدم من تطور خطير في مجال استخدام الطاقة النووية، وما يحتكر من أسرارها - هذا من ناحية - ثم نشهد من ناحية أخرى أن الدخول إلى هذا المجال النووي محرم على دول العالم الثالث، معنى ذلك أن يزداد المتقدمون تقدماً كما يزداد المتخلفون تخلفاً، ومعناه أيضاً أن العالم المتقدم يتحكم في حياة الآخرين، ويحدد لهم النموذج الذي ينبغي أن يعيشوه، فهو المنتج والتاجر الوحيد في السوق العالمية، والآخرون زبائن في هذه السوق الهائلة، وهم مجرد فقراء مستهلكين،

وبذلك تصبح العولمة الصورة الجديدة للأخطبوط الاستعماري الذي قسم العالم في الماضي إلى سادة وعبيد، وهو يقسمه الآن إلى أغنياء وفقراء؛ (شاهين، ١٤٢٠هـ: ٣٩).

إن هذا الوضع يمكن أن يفضي إلى انفجار عالمي يتمثل في العنف الاجتماعي والصراع الديني، والصدام الطائفي، ولن يقتصر على ميادين الدول النامية فقط، بل يتعداها إلى الدول الصناعية من جراء سهولة الاتصالات التي تسود العالم اليوم. وهذا ما يراه بعض المفكرين حتى من أهل الغرب لأنهم يرون العولمة بمثابة الغول القادم لابتلاع الانتماءات والهويات والقيم؛ (إسماعيل، ٢٠٠١م: ٦١).

خامساً - دور التربية الإسلامية في مواجهة تحديات العولمة:

إن مواجهة العولمة لا يعني التصدي لها ومحاربتها، بل يعني ذلك التعامل معها عن طريق الحوار الحضاري، ولا يتم هذا الحوار إلا من خلال شخصية ثقافية وفكر حضاري مستقل، نابع من تراث الأمة.

إن أهم الأدوار التي ينبغي أن تقوم بها التربية الإسلامية لمواجهة تحديات العولمة هي:

١ - **التربية بالقرآن الكريم والسنة الشريفة:** فالتربية التي تقوم بإعداد الإنسان لحضارة معاصرة، بل حضارة لكل العصور، إنما هي التي تقوم على القرآن الكريم والسنة المطهرة، لتكوِّن المنهاج المتكامل الذي يصلح لإعداد الإنسان في كل زمان ومكان، فالإسلام بالقرآن الكريم والسنة الشريفة قد خرج من شبه الجزيرة العربية، وانتشر في شتى بلاد العالم بحكمته وفلسفته التي هدت البشرية، وكانت فلسفة التربية الإسلامية انعكاساً لفلسفة الإسلام، ولروحه وتراثه، فازدهرت الحضارة الإسلامية في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تعيش في قرون مظلمة، ذلك أن هذه الحضارة حضارة عقلية ونقلية، تعتمد على الإيمان بالله، فلم يكن خريجو المدرسة الإسلامية مدمرين، ولا عنصريين، ولا متزمتين.

وعلى ذلك فالتمسك بالأصول الإسلامية في التربية هو أقوى السبل لتكوين الإنسان الصالح، وذلك فإن الجهات المختصة بتربية الإنسان في مختلف المجتمعات الإسلامية، مطالبة بالتمسك بالأصول الإيمانية التي هي في ضوء القرآن الكريم والسنة الشريفة، والتي تنبثق منها الأهداف التربوية العامة والخاصة، ومناهج تربية وتعليم الإنسان، وسبل هذه التربية لتساير التطور العصري والحضارة المعاصرة الإسلامية؛ (فرحان، ١٤٠٢هـ: ٩٩).

ص٢ - **التأصيل الإسلامي للعلوم التربوية:** أي جعل العلوم التي تدرس في الجامعات الإسلامية المعاصرة، تقوم على أصول الإسلام ومفاهيمه العقدية المتضمنة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والمحددة لمفاهيم الألوهية والإنسان والكون والحياة والمعرفة...، ورفض إقامة هذه العلوم على أصول ومفاهيم تتعارض مع العقيدة الإسلامية.

وفي سبيل التحرر من التبعية الفكرية والتربوية للمجتمعات الأجنبية في مجال العلوم الإنسانية والتربوية والاجتماعية، فقد تبلور هذا الاتجاه فيما سمي «بأسلمة المعرفة» ومن ثم التأصيل الإسلامي للمعارف الإنسانية، ويهدف ذلك إلى إعادة النظر في نظم التربية في المجتمعات الإسلامية لتكون في ضوء معطيات الإسلام.

ولا شك أن التأصيل الإسلامي للعلوم التربوية، أصبح ضرورة لسلامة إعداد الإنسان المسلم المعاصر الذي هو دعامة وأساس الحضارة الإسلامية الملائمة لطبيعة هذا العصر؛ (عطية، ١٤٢٥هـ: ٢٢٧).

ولما كانت أسلمة العلوم تعني تنقيتها من الأفكار والآراء التي تتعارض مع قواعد الشرع الإسلامي وأصوله، فقد نشط بعض المفكرين المسلمين الذين يسعون إلى تحقيق هذا الهدف السامي، ولكن الطريق إلى ذلك لم يكن يسيراً، فمنهم من كان مندفعاً ومتعجلاً، ومنه من وجهت إليه وإلى منهجه الفكري سهام المحاربين والمخالفين للإسلام، ومنهم من يتحرك في توازن حذر؛ (آل عمرو، ١٤٢٢هـ: ١٢٨).

ورغم ما قيل وما سيقال في أسلمة المعرفة، فإن (حمدان) مع التوجه القائم على الاقتصار على أسلمة العلوم الإنسانية دون العلوم الطبيعية، لأن العلوم الطبيعية علم تراكمي عالمي بنائي أنتجته البشرية جمعاء، وبوسع كل واحد منها أن ينهل منه أو يضيف إليه، وليس هذا ببعيد عن تجربة رواد أمتنا الأوائل، الذين أخذوا علم الإغريق دون أن يلتفتوا إلى ألوهيات اليونان وأساطيرهم، ولم يخرج الغربيون أنفسهم عن هذا النهج، حين أخذوا عن حضارة الإسلام العلوم التجريبية وأسس المنهج التجريبي، دون أن يأخذوا توحد الإسلام وشريعته ونظرته إلى الكون؛ (حمدان، ١٤٢٤هـ: ٢٧).

ولكني أرى ضرورة أسلمة العلوم الطبيعية أيضاً، لأن بعض هذه العلوم أصبح يُسخَّر في غير خير البشرية كتطوير الأسلحة الكيميائية والنووية والجرثومية المدمرة، ناهيك عن إخضاع الإنسان ذاته للتجارب المعملية حتى أصبح مهدداً بأن يتحول إلى مادة أولية معملية لتجارب الإخصاب الصناعي، وتجميد الأجنة، والهندسة الوراثية، والاستنساخ.

والاستنساخ يعد مثالاً واضحاً لأحد مخاطر البيولوجيا، إذ إن طريقة التكاثر هذه تخالف النظام الإلهي الذي وضعه الله عز وجل، وقد يترتب عليه ممارسة الفكر الضار، وشيوع الجريمة، وتعدد البصمة الواحدة، وفتح باب الفساد؛ (الجنزوري، ١٩٩٩م: ١٥)، لذا فنحن مع أسلمة العلوم عامة.

٣ - **إعمال الفكر إسلامياً**: إن الأمم لا ترقى إلا برقي فكرها... ولا تتطور إلا بتطور مفاهيمها... وتطور المفاهيم، يقتضي التفاعل مع المتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

إن الأمة العربية، في حاجة إلى تكوين شخصية فكرية مستقلة، حتى تتأهل للانتقال من مرحلة التقليد الذي نعيشه، إلى مرحلة التأصيل الذي نصبو إليه.

إن مرحلة التقليد الفكري، تتسم بالتبعية والتعصب والانغلاق، أما مرحلة التأصيل الفكري، فهي القادرة على إعادة بناء الشخصية الفكرية للأمة.

لقد عاشت الأمة العربية خلال هذا القرن، رهينة للاستعمار بكل صوره السياسية والثقافية والعسكرية، وكذلك الاقتصادية... لقد آن الأوان أن نمارس الانعتاق من التبعية التي عشناها طوال هذا القرن؛ (عشقي، ٢٠٠٢م: ١٦١).

غير أن العالم العربي والإسلامي قد خضع في العصر الحديث لهيمنة الاستعمار الغربي، وحينما توارى هذا الاستعمار خلَّف وراءه تبعية من نوع آخر أخطر وأشد، وهي «التبعية الفكرية والتربوية»، ويزيد الأمر خطورة أن نفراً لا يستهان به من المثقفين في مجتمعاتنا العربية، يرون في هذه «التبعية الفكرية» نوعاً من «التقدم الحضاري»، ويأتي هذا بالطبع في غير صالح الهوية والذاتية الثقافية العربية الإسلامية.

ولعل التبعية الفكرية للغرب لا تتضح في مجال كما تبرز في ميدان التربية والفكر التربوي، فالسمة الأساسية للفكر التربوي في عالمنا العربي بصفة عامة هي «الاستغراب»، ولعلنا لا نبالغ عندما نقول إن السبب الأساسي في أزمة الفكر التربوي المعاصر، ترجع إلى تبعيته للفكر الغربي، وإلى أنه لا يكاد يوجد فكر تربوي عربي أصيل، بل توجد نظريات وآراء تربوية غربية (أوروبية وأمريكية) نقلت من أوطانها الأصلية وغرست في البلدان العربية رغم الاختلاف الكبير بين البيئات العربية والغربية؛ (زيادة وآخرون، ٢٠٠٤م: ٢٧٦).

ويضاعف من خطورة أزمة الفكر التربوي العربي المعاصر، أنه على مدى النصف الثاني من القرن العشرين، اضطر العالم العربي إلى استقدام علماء من الغرب يعملون في جامعاته ومعاهده ومدارسه، كما بعث بالدارسين إلى البلدان الغربية (إنجلترا والولايات المتحدة وفرنسا على وجه الخصوص)، وهذه الأجيال الأولى نقلت (الفكر الغربي) على انه البديل الوحيد تقريباً للتربية الحديثة، وليس على اعتبار أن الفكر الغربي مجرد وجهات نظر واجتهادات ونظريات لها أطرها الاجتماعية، التي ناسبت ظروف المجتمعات الغربية.

إننا لا نستطيع الصمود أمام العولمة الأوروبية والأمريكية ونتعامل معها، إلا بشخصية فكرية عربية مستقلة، يمكننا أن ندافع عنها وأن نلتف من حولها. إننا لا نرفض الاطلاع على فكر وتجارب الآخرين في المجال التربوي، ولكن التربية وليدة مجتمع بعينه، واستعارة أي فكر تربوي لاقى نجاحاً في مجتمع ما وتطبيقه في مجتمع آخر مغاير في ثقافته، أمر مرفوض.

إننا لن نتمكن من مواجهة الغزو الثقافي، وهيمنة الحضارة الأقوى على الحضارة الأضعف، إلا من خلال إعادة بناء الشخصية الحضارية للأمة الإسلامية، ولن تبنى هذه الشخصية إلا من خلال التأصيل لتحديث فكرنا العربي.

إن تجديد الفكر التربوي العربي بحاجة إلى ثلاثة مطالب رئيسة، هي:

* اعتماد المرجعية الإسلامية كمصدر رئيس لفكرنا التربوي.
* الوعي بالتحولات التي طرأت على عملية التعلم الإنساني في عصر العولمة.
* الوعي بتوجهات الفكر التربوي المعاصر؛ (زيادة وآخرون، ١٤٢٥هـ: ٢٨٣).

٤ - **المحافظة على الهوية الإسلامية:** فالهوية هي مجموعة الخصائص والمميزات العقدية والأخلاقية والثقافية والرمزية التي ينفرد بها شعب من الشعوب؛ (ردود، ١٤٢٤هـ: ٣٤٢).

وبذلك يكون للهوية اعتبارها من حيث إنها علامة فارقة بين أمة وأخرى، وشخص آخر، لا يمكن التفريط في مكوناتها أو المساومة على عناصرها لأن أي مساس بها يؤدي إلى فك منظومتها وتناثر خصائصها، لأنها أصبحت عرضة للاختراق وإحداث التشوهات الغربية في البناء الواحد.

ومن وظائف الهوية وفوائدها أنها تحافظ على تماسك النسيج الاجتماعي للأمة، وتجعل أفرادها ينضوون تحت مظلة واحدة، وتسهل تعاونهم لحماية رسالة الأمة والدفاع عنها أمام هجمات الأمم الأخرى. فالمسلم هويته الحقة الإسلام - هوية تجعل صاحبها دائم الصلة بالله في سلوكه العام والخاص، وفي كل زمان ومكان.

ولذا فإن من أولى الواجبات الحفاظ على الهوية الإسلامية، بإقامة شعائر الإسلام، والاعتزاز بالانتماء إليه، وحسن الالتزام بآدابه وأحكامه وأخلاقه، وفي جميع شؤون الحياة. وعلى رجال التربية تقع المسؤولية وتكبر في تربية وتعليم أبناء المسلمين، وعلى الأخص القائمين بالتربية الإسلامية حيث تتضاعف مسؤولية الحفاظ على الأمة المسلمة بحفظ هويتها في هذا العصر، عصر العولمة الذي يطمح فيه الغرب إلى تذويب الهويات ودمجها في النموذج الغربي الأمريكي؛ (ردود، ١٤٢٤هـ: ٣٤٦).

٥ - **إعداد الطالب المسلم لسوق العمل:** أكد الإسلام على قيمة العمل، وجعل منه منطلقاً للتنمية، ولم يجعل في الاحتراف نقيصة، ولقد سلك الأنبياء هذا المسلك؛ فعمل آدم عليه السلام بالزراعة، وإدريس بالخياطة، ونوح بالنجارة، وموسى بالرعي، وداود عليه السلام بالحدادة كما يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ (الأنبياء: ٨٠).

والعمل في الإسلام هو قوام الاقتصاد، وله دوره في ضمان معيشة الأفراد، وحفظ حياتهم، وتأمينهم من ذل الفقر والسؤال، والعمل الصالح في الدنيا طريق إلى الجنة في الآخرة. إن العمل النزيه الشريف يحمي الأمة من مخاطر البطالة، وما يترتب على ذلك من المشكلات الاجتماعية كالسرقة والغش والنهب والنصب وترويج المخدرات والمسكرات... إلخ، لذا فواجب التربية الإسلامية أن تغرس في الناشئة حب العمل والإخلاص فيه وذلك عبر المؤسسات التعليمية.

إن المسؤولية تقع بالدرجة الأولى على النظام التعليمي والتربوي، إذ يتحتم عليه أن يوجه أبناءه إلى مصادر العمل المشروعة التي يحتاجها البلد، وهي مهارات ينبغي لراغب العمل أن يكتسبها علماً في مقر دراسته ليمارسها واقعاً في مكان عمله.

ويتعاظم دور التربية الإسلامية في توجيه الشباب المسلم نحو سوق العمل، إذ تشير إحدى وثائق اليونسكو وهي تتحدث عن مستقبل التعليم في المنطقة العربية إلى أن التعليم أصبح «أداة لتنمية شخصيات مترفعة عن العمل مستهلكة أكثر من أن تكون منتجة» (حمد العباد، ١٩٩٧م: ٦١) وإذا كان الأمر كذلك فنحن أما مشكلة خطيرة يجب مواجهتها.

فمطلوب من التربية والنظام التعليمي الإسلاميين، أن يعي كل واحد منهما طبيعة العصر وإيقاعاته، ونوعية العمالة المطلوبة في سوق العمل، حتى يخرج الطالب من النظام التعليمي وهو معد سلفاً لتقلد مهنة أو عمل وظيفي يتناسب مع مؤهلاته، ويتلاءم مع احتياجات سوق العمل. هذا إذا كان النظام التعليمي كما يجب أن يكون عليه، مواكباً لحالة العصر وتطلعاته، أما إذا كان النظام التربوي والتعليمي قد توقف عن تطوير نفسه ومجاراة حاجات سوق العمل، فسوف يصدم المجتمع بأن لديه جيشاً آخر من البطالة المقنعة، وهذا يفرض على النظام التربوي الإسلامي أن يأخذ بنظام (الموجه الاجتماعي) الذي أشار إليه (مازن بليلة) حيث قال: «إن من أهم وظائف الموجه الاجتماعي بالمدرسة إضاءة الطريق الوظيفي للطالب منذ وقت مبكر»؛ (ردود، ١٤٢٤هـ: ٣١٦).

ويترتب على هذا التركيز على التخصصات التي يحتاجها سوق العمل، وتوجيه الطلاب إليها مبكرا، كل حسب ميوله واستعداداته وقدراته حتى تتمكن التربية الإسلامية من وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

إن من أهم واجبات التربية الإسلامية، أن تصحح النظرة الدونية إلى الأعمال الحرفية لدى الطلاب وبخاصة في بعض البلاد العربية، لما لذلك من مردود نفسي كبير على إقدام الشباب إلى سوق العمل المهني؛ (ردود، ١٤٢٤هـ: ٣١٦).

٦ - **الحد من ظاهرة هجرة العقول** Brain Drain: مما لا شك فيه أن أكبر خسارة تصيب التنمية الاقتصادية والتنمية البشرية، هي هجرة العلماء والمتخصصين من البلاد الإسلامية إلى الدول المتقدمة، وهي ما تسمى (بهجرة

العقول) أو (هجرة الأدمغة)، ومن المعروف أن العالم العربي يفقد بالهجرة حوالي عشرة آلاف من الخبراء والفنيين والمهنيين كل عام طبقاً لإحصاءات اليونسكو؛ (عثمان، ٢٠٠٩٢م: ٧٧).

لقد أدى تخلف النظام التربوي والتعليمي في بعض فتراته المتأخرة في البلاد الإسلامية، إلى هروب كثير من العلماء والمفكرين والباحثين إلى الدول المتقدمة، التي تتميز بتوفر المراكز العلمية والبحثية المتطورة، والمعامل، والمختبرات التي تستخدم أرقى ما توصل إليه الإنسان من كشوفات وتجارب، بجانب توفر فرص العمل الطموحة.

فمن واجب التربية الإسلامية في هذا المجال، حماية المواهب الإسلامية من الهروب إلى البلاد الأخرى، فهذه النخب المفكرة والمبتكرة والمبدعة إذا لم تجد ما يشجعها على البقاء، ويشدها إلى أوطانها فسوف تكون حتماً مهيأة للتعرض للخطف من قراصنة العقول؛ (ردود، ١٤٢٤هـ: ٣١٦).

لذا تقع مسؤولية الحفاظ على هذه الثروة النادرة على النظام التربوي بالدرجة الأولى. إذ إن هجرة العقول العربية إلى خارج الوطن هي مشكلة ذات جذور اقتصادية واجتماعية وتعليمية وثقافية، فعلى الدول الإسلامية مجتمعة أن تسعى جاهدة لحل تلك المشكلات حتى نحتفظ بعلمائنا ونجعل منهم دروعاً علمية نواجه بها غول العولمة القادم.

٧ - **توسيع نطاق عملية التعلم:** فمع تصاعد الدور المهم لتقنيات المعلومات، وتعدد وتنوع مصادر المعرفة، أصبح لزاماً على النظم التربوية وبخاصة التربية الإسلامية أن تعد المتعلم للتعامل مع تلك المصادر، وفي ذات الوقت تفهم الأدوار التربوية الجديدة للمؤسسات الاجتماعية، ومؤسسات العمل والإنتاج حيال تربية الإنسان المعاصر، حيث لم تعد المدرسة وحدها هي التي تحتكر العملية التربوية، وإنما أصبح (المجتمع المعلم المتعلم) هو ساحة للعملية التربوية. بل إن هناك اليوم قوى ومؤسسات أصبحت أشد في تأثيرها على تربية الإنسان المعاصر من تأثير المدرسة على وجه التحديد.

فالإعلام المعاصر أصبح ينافس المدرسة ويفوقها في أحيان كثيرة في تقديم التعليم لقطاعات عريضة من المجتمع، وفق حاجات وأذواق ومطالب المجتمعات، ودونما تكلفة مادية أو وقت مهدر؛ (زيادة وآخرون، ١٤٢٥هـ: ٢٩٦).

وبالعودة إلى التربية الإسلامية، ومنذ بدايات عهدها، نجد أن مختلف المؤسسات في المجتمع الإسلامي قد شاركت في تكوين الإنسان المسلم، وها نحن في الألفية الثالثة نجد الاتجاهات العالمية تنادي بتوسيع نطاق التربية واشتراك مختلف القطاعات في عملية تعليم الإنسان، فالتربية الإسلامية بذلك سبقت هذه الاتجاهات في عملية توسيع نطاق تربية الإنسان ليلائم الحضارة المعاصرة من منظور إسلامي؛ (زياد وآخرون، ١٤٢٥هـ: ٢٣١).

فالتربية اليوم تعتمد إلى حد ما على نتائج العلوم الأخرى: الاجتماعية والطبيعية والتطبيقية والمهارية والفكرية والإنسانية، وليس من شك «أن التربية الإسلامية تهتم بتعدد روافد الفكر والعلوم الدنيوية إلى جانب العلوم الدينية، بل وتحث الشباب على العلم بمختلف فروعه لتكوين الإنسان الصالح لهذا العصر»؛ (عطية، ١٤٢٥هـ: ٢٢٨).

٨ - **الأخذ بمفهوم التربية المستديمة (التعليم المستمر)**: كلنا يعلم أن من سمات عصر العولمة التجدد والتنوع، وبخاصة في المجال المعرفي والعلمي، فكما هو معروف فإن العولمة تتخذ من العلم وتقنياته المتطورة وسائل تقتحم بها الحدود الزمانية والمكانية، وهذا يعني أن المعرفة في زمن العولمة في تطور، بل في تضاعف غير مسبوق، لدرجة أنه يصعب على الإنسان ملاحقة كل جديد في سوق العلم والمعرفة. ولذا يسمى هذا العصر بعصر الانفجار المعرفي، لأن أكثر من ثلاثة أرباع المعلومات والمعارف المتاحة اليوم، لم تكن معروفة منذ الحرب العالمية الثانية؛ (Edgar, 1972: 27).

ومن آثار التفجر المعرفي، أن المجتمعات البشرية المعاصرة أصبحت بحاجة ماسة لاستخدام الحاسوب، لإيداع واسترجاع المعلومات والمعارف البشرية. وهذا الوضع المعرفي يفرض على التربية في كل مكان تحدياً من نوع

آخر، وهو أن على التربية أن تواكب كل جديد وهو أمر يبدو غير يسير، ففي الوقت الذي تحتاج فيه التربية إلى دراسة أثر من آثار التقدم العلمي على بعض مجالات الحياة مثلاً لمعرفة إيجابياته وسلبياته، تجد أن هذا النوع قد أصبح قديماً جداً، فقد حدثت تطورات علمية ذات تأثير أعنف، بفعل التغيرات السريعة التي كان إيقاعها في الحضارات التقليدية ألفياً (أي كل ١٠٠٠ سنة) ثم أصبح قرنياً (أي كل ١٠٠ سنة) والآن أصبح يومياً، بل ساعة بساعة. لذا فإن الإنسان في الحضارات السابقة تدرب على أن يكيف نفسه لحالات تمتاز بالثبات. أما اليوم فإن الفترة التي يتطلبها التغير تعد أقصر بكثير من حياة الإنسان. لذا فعلى التربية أن تعمل على تزويد الأفراد بما يمكنهم من مواجهة هذه الأوضاع والتكيف معها؛ (Dave, 1976: 15).

وكمثال توضيحي فإنه عندما ظهر جهاز التليفزيون لأول مرة شكك البعض في أثر هذا الجهاز على تربية النشء، وبدأت البحوث والدراسات لمعرفة نوع التحدي التربوي لهذا الجهاز، وماذا يجب على الأسرة والمؤسسات التربوية الأخرى أن تعمل لمواجهة ذلك التحدي؟ وفي خضم هذا العراك بين السلب والإيجاب، يصحو الجميع على تحد أعنف وهو البث المباشر والرقمي، والشبكات العنكبوتية، والهندسة الوراثية، والاستنساخ... إلخ، الأمر الذي أوجد تراكماً من التحديات مما زاد في اتساع الفجوة بين التربية كسلوك - وبين معطيات العلم الذي أنتجته التربية أيضاً؛ (ردود، ١٤٢٤هـ: ٢٧٧).

إن أسلم طريقة هي الأخذ بمبدأ استمرارية التعليم، أو ما يسميه البعض التربية مدى الحياة. وكما يرى (Coles) أن العالم الذي يشهد تغيرات تقنية سريعة، من الصعب أن يدرب الإنسان فيه على كل المهارات المطلوبة لكسب معيشته طوال حياته. لذلك تصبح الحاجة إلى التربية المستمرة ذات أهمية متصاعدة بخاصة في البلاد النامية؛ (Coles, 1979: 2).

وبعبارة اليش (Illich) فإن التعليم المستمر لم يعد رمزاً للتنمية والتطور بلا حدود، بل أصبح مع هذا وفوق هذا يمثل ضماناً لاستمرار التكيف والملاءمة، وبخاصة في عصر العولمة؛ (Illich, 1976: 13).

إن الفكر التربوي الإسلامي يعنى بمبدأ الاستمرارية في التربية، فهي عملية مستمرة لا تنتهي بفترة ولا توقفها مرحلة، هي تربية من المهد إلى اللحد تحافظ على الثوابت، فالإسلام حرص على توفير دافع الاستمرار في التعلم، وأن الإنسان في حاجة مستمرة إلى مزيد من العلم كما في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤) وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة».

٩ - **إعلاء شأن العلم ومكافحة الأمية:** ليس من شك في أن المجتمعات التي تقوى في ظل هذا العصر إنما تقوم على العلم والاهتمام به. ومما لا شك فيه أن الإسلام قد رفع شأن العلم والعلماء كما في قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ (المجادلة: ١١) وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٩).

والعلم الذي يؤكد عليه الإسلام، كما تؤكد عليه التربية الإسلامية هو العلم النافع الذي يتجه بالإنسان إلى سبل الرقي ويبعده عن سبل الهلاك. ومن ثم فعلى النظم التربوية في المجتمعات الإسلامية أن توسع من آفاق تحصيل العلم أمام الجميع ذكوراً وإناثاً صغاراً وكباراً، إذ إن الإنسان المتعلم هو أساس الحضارة المعاصرة، ولأن «طلب العلم فريضة على كل مسلم» كما في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولعل من الضروري على بعض المجتمعات الإسلامية أن تؤكد على قيمة العلم، والدعوة إليه خاصة وأن إحصاءات اليونسكو تشير إلى تفشي ظاهرة الأمية الأبجدية بصورة مخيفة في الوطن العربي. إذ يشير (حسن حسين البيلاوي) أن نسبة الأمية في الوطن العربي من أعلى المعدلات في العالم، حيث تصل حوالي (٥٠٪)، وترتفع هذه النسبة بين النساء العربيات إلى (٦٥٪)، وضمن هذه الصورة بالطبع، فإن هناك عدداً من الأقطار العربية التي نجحت في تقليص حجم الامية تلصل إلى حوالي (٢٠٪) فقط مثل الأردن، ومعظم أقطار الخليج العربي، بينما نجد نسبة الأمية ترتفع في أقطار أخرى لتصل إلى (٧٠٪) في مناطق كثيرة من الوطن العربي؛ (البيلاوي، ١٩٩٣: ١٢).

إن على التربية الإسلامية بكل وسائطها أن تسعى لمواجهة هذه المشكلة الخطيرة التي لا تتسق وقيم الإسلام، وبخاصة في عصر العولمة الذي قوامه التقدم العلمي والتقني، إذ من لا يتعلم لا يتقدم.

١٠ - **تفعيل دور الأسرة المسلمة:** تحتل الأسرة في المجتمع الإنساني بشكل عام منزلة رفيعة، وما ذلك إلا لكون الأسرة - والتي تتكون ابتداء من أب وأم وأطفال - هي نواة المجتمع الكبير.

ونظراً لما تضطلع به الأسرة من دور تربوي مؤثر وفعال، فلقد اعتبرها كثير من علماء الاجتماع والتربية (الجماعة المرجعية) Reference Group الرئيسة في حياة الأفراد، يستمد منها الشخص قيمه وأهدافه ومعاييره وأساليب تصرفاته.

فالأسرة المسلمة، أسرة ملتزمة بنظام الشريعة الإلهية، وبالأخلاق والآداب الإسلامية، فتعمل لخيري الدنيا والآخرة، ويتعامل الزوجان على أساس من الثقة، والاعتبارات الإنسانية الكريمة في الكلام والعشرة، ومعيار هذه العلاقة المشتركة: هو الوسطية بين الجد والحزم، والتسامح واللين، والود والالتزام.

وفي أحضان تلك الأسرة يتربى فلذات الأكباد، الذين يرتبطون بمجتمعهم الإسلامي ارتباط السوار بالمعصم، فيحرصون على حماية هويتهم الإسلامية، والتمسك بعقيدتهم الربانية. لذلك لا غرابة أن تكون الأسرة المسلمة هدفاً لسهام التغريب والعولمة، وعرضة لرياح العلمانية.

لقد تنبه أعداء الأسرة المسلمة إلى خطورة هذا المنشأ الأسري المتميز، فأعدوا له من التدمير والتخريب ما لا قبل له به، حيث اشتد التركيز التدميري على الأسرة المسلمة في عصر العولمة في عدة مجالات: دينية وأخلاقية واقتصادية وتربوية، بغية تفريغ الأسرة المسلمة من دورها الفريد في تربية الجيل القيادي لأمة الغد، وسعوا جاهدين إلى سحب واقع الأسرة المسلمة لتسير في ركب الأسرة الغربية، وقد تحقق لهؤلاء البغاة الكثير من أحلامهم، حيث ظهرت تشوهات كبيرة

فتي كيان الأسرة المسلمة المعاصرة، بفعل مؤثرات كثيرة لعل من أقواها أجهزة الإعلام التي يسيطر عليها صناع العولمة؛ (ردود، ١٤٢٤هـ: ٢٥١).

لقد سخَّر الغرب تقنياته لخدمة أغراضه الثقافية والعقائدية والتربوية، لإبراز وضع الأسرة الغربية وعاداتها وتقاليدها على أنها النموذج الذي يجب أن يحتذى، وأن يسير في ركابه أقطاب وأفراد الأسرة المسلمة. وهذا الاستلاب الذي تتعرض له الأسرة المسلمة اليوم، يفرض عليها شكلاً جديداً وخطيراً من أشكال التحدي الحضاري الذي قد يؤدي إلى ذوبان أمة وتلاشيها.

لذا فإن من أولويات عمل التربية الإسلامية في مجال الأسرة المسلمة في هذا العصر، هو تفعيل وظائفها المناطة بها للحفاظ على تواجدها، وخصوصيتها من الاستتباع إلى الغرب. ومن أهم هذه الوظائف ما يلي (ردود، ١٤٢٤هـ: ٢٥٣):

- الحث على التدين وغرس قوة التعلق بالله في نفوس الناشئة.
- تقوية الوازع الديني لدى الفرد المسلم.
- دعم الحاجات الاجتماعية.
- تحقيق الحاجات التربوية.
- تحقيق الحاجات الاقتصادية.
- تحقيق الحاجات العاطفية والنفسية.

إن التربية الإسلامية عليها الاهتمام بتربية الأسرة المسلمة، وتثقيف أفرادها وتوعيتهم وتوجيههم من خلال أجهزة الدولة المختلفة، ومن خلال الوسائل والبرامج التي تشترك جميعاً في تكوين أجيال تشعر بانتمائها الإسلامي، وانتسابها الحضاري للأمة العربية والإسلامية. إنها التربية الإسلامية التي تهدف إلى صياغة الفرد صياغة إسلامية حضارية، وإعداده كاملاً من حيث العقيدة والأخلاق، والقيم والمشاعر حتى تتكون الأمة المتحضرة التي تستطيع أن تصمد أمام إغراءات العولمة غير الدينية والإباحية الجنسية.

١١ - **الانتباه لطبيعة البيئة المدرسية في عصر العولمة:** تقوم المدرسة في المجتمعات الإسلامية بعدة وظائف هامة من أجل تشكيل الفرد المسلم تشكيلاً متكاملاً، وتتمثل الوظيفة الرئيسة للمدرسة في نظر الإسلام في تحقيق التربية الإسلامية بأسسها الفكرية والعقدية التشريعية وتنمية مواهب النشء وقدراته على الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

إن المؤسسة التربوية بعمومها، والمدرسة منها على وجه الخصوص، هي من أهم المجالات التي لا بد أن تتأثر بظاهرة العولمة.

من المتوقع أن تشهد البيئة المدرسية تحركات عنيفة، ليس من حيث الشكل، بل ومن حيث المضمون أيضاً، وكذلك الأدوار، وتبدل الأساليب.

لقد أكدت وثيقة المؤتمر الثاني لوزراء التربية والتعليم في الوطن العربي باسم (مدرسة المستقبل) والمنعقد في دمشق في الفترة من ٢٧ إلى ٢٨ ربيع الآخر عام ١٤٢١هـ «إن التوتر بين عالمي العولمة والمحلية سيؤدي إلى تقليص كبير في سلطات ومهام وتأثير الدولة الوطنية، ولهذا تأثير كبير على مستقبل ومهام المؤسسة المدرسية في القرن الحادي والعشرين، من حيث وضع فلسفة وأهداف التعليم وإدارته، والسيطرة عليه وعلى مناهجه ومحتواه، وعلى القيم التي ينبغي أن يبثها، أو يحافظ عليها النظام التعليمي؛ (ردود، ١٤٢٤هـ: ٢٢٠).

فذلك التوجه حدا بالوثيقة أن تطلب من المدرسة أن تغير مسار رسالتها، تمشياً مع طبيعة العصر المتسم بالانفجار التكنولوجي والمعرفي، حيث تقول الوثيقة: «فالمعرفة في القرن الحادي والعشرين سيكون ديدنها الزيادة والتغير الدائم، مما يعني أن الإحادة بها لن تكون دائماً أمراً ممكناً، وإنما الممكن أن يهيأ المرء لمتابعة حركتها والقدرة على الوصول إليها، والاختيار منها، والتحقق من دقتها».

وهذا يستدعي من المدرسة أن تعمل على محورين متلازمين هما:

١ - إعداد الطالب لاكتساب المعرفة والوصول إليها عبر استخدام أجهزة الحاسب والإنترنت.

٢ - أن تعد المدرسة الطالب لحسن اختيار المادة العلمية، وهذا يحتاج إلى أن تغرس المدرسة في نفوس الناشئة أسس العقيدة الإسلامية، وأن تكون لدى الطالب الرقابة الذاتية، وأن تحصنه ضد مغريات هذا التدفق المعلوماتي المركز والمغري أيضاً؛ (ردود، ١٤٢٤هـ: ٢٢٤).

وبدخول التكنولوجيا في مجال التعليم، ستحدث نقلات نوعية في العملية التعليمية والتربوية، وسوف تغير هذه التقنيات المتطورة من أدوار بعض العناصر الفاعلة في العملية التعليمية من ماضيها التقليدي إلى واقع جديد له طابع خاص. وهذا يعني حدوث تغير في دور المعلم والتلميذ ونوعية الوسيلة التعليمية، والأهداف التربوية، والأساليب التعليمية، وعلاقة المعلم بالتلميذ، وعلاقة كل منهما بالمنهج، وهي تغيرات تأخذ شكل التحدي بوجهيه الإيجابي والسلبي، وعلى التربية الإسلامية أن تكون على أتم الاستعداد لمواجهة كل هذه التغيرات والتناغم معها، ومن ثم الانتقال بالمدرسة من مرحلة ماذا يتعلم الطالب؟ إلى أسلوب جديد يتلاءم وتدفقات المعرفة وهو كيف يتعلم الطالب؟

١٢ - **ترشيد وسائل الإعلام:** يعد الإعلام أحد أذرع العولمة، بل لسان العولمة الناطق، فعن طريق الإعلام بكل أشكاله؛ المقروءة والمسموعة والمشاهدة يتم نقل الثقافات، وتوجيه الأفكار، وترحيل الأنماط.

ولا بد من الاعتراف بأن الإعلام أصبح قوة فاعلة تفرض نفسها على كل من تصل إليهم، وتؤثر فيهم، بحسب نوعية مضامين المواد التي تعرضها إليهم وتوجهاتها، فليس من المجدي الانكفاء على الذات أو اتباع سياسة النعامة، أو بمنع وسائل الإعلام، فهذا أمر غير منطقي وغير مقبول أصلاً؛ (ردود، ٢١٤٢هـ: ٣٢٣). إن بعض وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وتليفزيون وسينما مسخَّرة اليوم لإشاعة الفاحشة، والإغراء بالجريمة، والسعي بالفساد في الأرض بما يترتب على ذلك من خلخلة للعقيدة، وتحطيم للأخلاق والقيم والمثل. لقد سبق أن ندد المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة الذي عقد بالمدينة المنورة، بحال الإعلام في البلاد الإسلامية، بالهوة السحيقة التي تردى فيها،

فبدلاً من أن يكون الإعلام في البلاد الإسلامية منبر دعوة للخير، ومنار إشعاع للحق، صار صوت إفساد وصوت عذاب، وزلزل الناس في قيمهم ومثلهم، ولم يعد الأمر يحتمل السكوت؛ (جريشه وآخر، ١٩٧٨م: ٧٣).

لا بد للإعلام أن يكون وسيلة توجيه وإرشاد وتوعية، بدلاً من أن يكون كما هو عليه في كثير من القنوات، التي أصبحت وسيلة ابتزاز وتضليل، بل وترويع، مما يعني ضرورة أن يكون هناك إعلام إسلامي فاعل يحترم أذواق المتلقين وعقلياتهم، ويحافظ على ثقافة المسلمين، ويدافع عن قضاياهم بدلاً من أن يكون إعلاماً تابعاً مردداً لما يريده الغرب.

١٣ - تمكين الناشئة من اللغة العربية الفصحى: تعد اللغة من أهم الملامح التي تكون هوية الأمة وتميزها عن غيرها من الأمم، فاللغة والدين هما العنصران المركزيان لأي ثقافة أو حضارة، كما يؤكد ذلك الكاتب الأمريكي (هنتجتون) في كتابه صدام الحضارات. ومن هنا فإن أي تحد لثقافة ما ينطوي على تحد للغتها، فهل تواجه العربية تحدياً من هذا النوع في عصر العولمة؟ (الضبيب، ١٤٢٢هـ: ١٣).

إن كل لغة تتعرض للاحتكاك باللغات الأخرى، هي لغة مرشحة للتحدي، ذلك أن الاحتكاك الحضاري يستتبع احتكاكاً لغوياً في الغالب بين اللغة الأصلية واللغة الوافدة، وفي العصر الحاضر فإن اللغة العربية تواجه بتحديات شرسة من قبل قوى العولمة المختلفة، المتمثلة في المصالح المادية الناجمة عن الاتصال الأجنبي، والتبشير باللغة الإنجليزية على أنها اللغة العالمية التي هي لغة البشر.

واللغة العربية القاسم المشترك بين أبناء الأمة من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلسي، فالوحدة الثقافية المستمدة من القرآن والسنة تحقق للأمة الإسلامية نوعاً من التماسك والترابط، فالقرآن مُعظم، والقبلة واحدة، ولغة القرآن تجمع ولا تفرق. (thhp://www.alzatari.org/motamarat/6.htm).

وبالمقارنة العلمية، فإن اللغات لم تستمر ولا تستمر أكثر من أربعة قرون،

وهذا هو الحد الأقصى للغات، ولكن المتتبع للمسيرة البشرية عبر التاريخ، يتأكد له بلا ريب أن اللغة العربية عاشت حتى الآن سبعة عشر قرناً، وستستمر في الحياة لأن القرآن جامع لها، ومحافظ عليها، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ (سورة الحجر: آية ٩)؛ (http://www.alzatari.org.motamarat/6.thm).

لا بد لنا كي نطور ثقافتنا من أن نحسن إعداد أجيالنا من خلال تقديم اللغة العربية الفصحى، وتعليمها على أسس جديدة، تناسب العصر، فاللغة تعيش بالممارسة، وتزدهر بالحوار وتنشط بالاستعمال، ولا يكون ذلك إلا بتمكين اللغة من أداء وظيفتها في صياغة الفكر والتعبير عنه، ويقول الدكتور (كمال بشر) الحوار الدائم مع اللغة خير وسيلة لتقويتها وحمايتها من الجمود والركود، أو العزل عن ساحتها الطبيعية. والحوار مع اللغة يعني منحها فرصة التطور وابتكار الجديد الذي من شأنه أن يقابل الأفكار الجديدة؛ (الضبيب، ١٤٢٢هـ: ١٦٠).

ويعترف العديد من اللغويين بفشلهم في الوصول إلى أفضل الطرق لتعليم اللغة العربية في العصر الحديث، وتحبيب الناشئة فيها. والحقيقة أن تعليم اللغة العربية في مدارسنا يجري ضمن ظروف غير مواتية للنجاح، فليس لدينا دراسات تبين القدر الذي نحتاجه من النحو، ولا زلنا نخلط بين حاجة المتخصص وحاجة المتعلم العادي الي يريد أن يعصم لسانه ويده من الخطأ، فركزنا على حشد أكبر كمية من القواعد، وحشو أدمغة التلاميذ بها دون النظر إلى مدى احتياجهم إليها؛ (الضبيب، ١٤٢٢هـ: ١٩٩-٢٠٠).

كان الإمام ابن حزم - رحمه الله - يرى أن تعليم النحو يجب أن يكون كالملح في الطعام، فكان علينا أن نهتم بالطعام وهو مادة اللغة، ثم نضيف إليه ما نحتاجه من الملح بقدر بسيط، وما حدث هو أننا اهتممنا بالملح على حساب الطعام، فأفسدنا الطعام ونفرنا المتعلمين. فاللغة العربية لا تكتسب بكثرة القواعد المحشوة في الأذهان، وإنما تكتسب بالممارسة وهي على مستويات مختلفة. هذه الممارسة هي التي تجمع بين ما يسمى بالمهارات اللغوية: الاستماع

والحديث والاستيعاب، مع القراءة والكتابة وغيرها. وكان أسلافنا القدماء يبعثون أبناءهم إلى البادية لا ليتعلموا القواعد، ويدركوا العلل النحوية، وإنما لكي يسمعوا اللغة العربية الفصحى، ويتحدثوا بها، وكان هذا يعصم ألسنتهم من اللحن أكثر مما يفعل النحو. وبإمكاننا أن نأتي لطلابنا بالنصوص المستساغة، ونسمعهم إياها، ونختبرهم فيها، ونجعلهم يحاكونها، ونحاول أن نجعل اللغة سليقة لهم لا اكتساباً، لأن وضعنا الآن من حيث الوسائل المتاحة لإجادة اللغة أفضل من وضع أجدادنا؛ (الضبيب، ١٤٢٢هـ: ٢٠٠-٢٠١). وبذا نستطيع أن نواجه غول العولمة الذي يسعى لابتلاع لغتنا الأم، لغة القرآن الكريم.

سادساً - نتائج الدراسة:

١ - العولمة مفهوم غامض لم يتم الاتفاق عليه بعد بين العلماء والباحثين، فمنهم من يراه بشير تقدم وازدهار، ومنهم من يراه وسيلة لفرض نمط من أنماط الحضارة على باقي الشعوب بغية الهيمنة على مقدراتها.

٢ - العولمة ليست خيراً محضاً ولا شراً محضاً، فمن إيجابياتها أنها تبشر بالتقدم العلمي وثورة المعلومات، والازدهار الاقتصادي، ونشر التقنية الحديثة، وتطور وسائل الاتصال والمواصلات، مما يجعل العالم قرية كونية صغيرة.

٣ - من سلبيات العولمة أنها تتسبب في إحداث الصراع بين الدول الغنية والفقيرة، وسحق الهوية الشخصية الوطنية، وهيمنة ثقافة الأقوى، وفرض التحديات أمام المجتمعات النامية في الجوانب الاقتصادية والسياسية والثقافة والاجتماعية والتقنية.

٤ - العولمة هي الفرز الحقيقي، بين المنتج والمستهلك، بين من يصنع التكنولوجيا والتقدم العلمي، وبين من يراد له أن ينسلخ من ماضيه الحضاري تماماً، وعن عقيدته، وينبهر بمعالم التقدم العلمي الغربي السريع فيصبح تابعاً له.

٥ - تدويل النظام الاقتصادي الرأسمالي، حيث تم توحيد الكثير من أسواق الإنتاج والاستهلاك، وتم التدخل الغربي في الأوضاع الاقتصادية للدول وبخاصة دول العالم الثالث، عبر المؤسسات المالية الدولية: كصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، التي تمارس الإملاءات الاقتصادية المغايرة لمصالح الشعوب، وبالتالي تحقق العولمة هيمنة الدولة الغربية على اقتصاديات العالم، من خلال القضاء على سلطة وقوة الدولة الوطنية.

٦ - إغراق الدول المستهدفة بالديون بتشجيع من الغرب عن طريق البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، حتى أصبح اقتصاد معظم هذه الدول متخبطاً، فهي في الحقيقة وسيلة لبسط النفوذ الغربي على دول العالم الثالث والهيمنة عليها.

٧ - العولمة عبارة عن فعل اغتصاب ثقافي على سائر الثقافات، خاصة الثقافة العربية والإسلامية.

٨ - إن وسائل العولمة في مجال الإعلام والاتصالات، تتسلل إلى البيوت دون استئذان، وتلعب بالأفراد والجماعات من خلال برامجها وأنشطتها التي تثير الشهوات الجنسية، وتحطم قيم الفطرة الإنسانية الرفيعة، فتتناقض بذلك مع قيم الإسلام الاجتماعي والأخلاقي الذي أراد الإسلام في ظله أن يبني مجتمعاً نظيفاً عفيفاً.

٩ - إعطاء كل الأهمية والأولوية للإعلام لإحداث التغيرات المطلوبة على الصعيدين المحلي والعالمي.

١٠ - التعامل مع الإنسان في كل مكان، تعاملاً يقوم على البقاء للأصلح، والأصلح في هذا المفهوم العولمي هو الناجح في كسب الثروة والنفوذ وتحقيق الهيمنة.

١١ - إن العالمية تسعى إلى الحفاظ على خصوصية الأوطان الدينية والوطنية، أما أصحاب العولمة فيريدون سلب الوعي الديني والوطني للشعوب، وبالتالي فرض هيمنة دول الشمال على دول الجنوب.

١٢ - بيان دور التربية الإسلامية في كيفية معايشة عصر العولمة والاستفادة من إيجابياتها ومواجهة سلبياتها من خلال التمسك القوي بتراث الأمة وثوابتها الثقافية القائمة على الكتاب والسنة.

سابعاً - توصيات الدراسة:

يمكن للأمة العربية والإسلامية مواجهة خطر العولمة من خلال الأخذ بالتوصيات التالية:

١ - التمسك بالشريعة الإسلامية التي ارتضاها الله تعالى لنا، وعلى هديها نُنظم حياتنا، ونُربي أجيالينا، إذ إن مجرد كوننا مسلمين لا يكفي لإنجاز وعد الله لنا بالنصر في مواجهة أخطار العولمة، لأن الحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ (سورة محمد: ٧).

٢ - تبني المنهج الشامل في فهم الإسلام الذي يجمع بين العقيدة والشريعة والسلوك والحركة والبناء الحضاري، وفق منهج أصولي سليم يعتمد على العلم والعقل. وهذا يتطلب تغيير حياتنا منطلقين من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ (سورة الرعد: ١١).

٣ - تحقيق الوحدة الشاملة في العالم العربي والإسلامي، أي وحدة الأمة التي تتحقق بوحدة العقول والقلوب والعواطف الإيمانية، والأهداف والمصالح المشتركة، في إطار جامعة إسلامية واحدة تتولد عنها قوة سياسية ومعنوية ذات ثقل واعتبار.

٤ - وفي المجال الاقتصادي يمكن للعالم العربي والإسلامي أن يواجه خطر العولمة بتحقيق السوق الإسلامية المشتركة، وتقوية المؤسسات العربية المنبثقة عن الجامعة العربية، ومؤتمر القمة الإسلامي لأنه يمتلك مخزوناً جباراً من رؤوس الأموال، ومن الثروات الحيوية والمعدنية، حتى نتمكن من الاستغناء عن العالم الخارجي - على الأقل - في الاحتياجات الاستراتيجية.

٥ - العمل على توسيع قاعدة التكافل الاجتماعي في المجتمع الإسلامي، وتغليب الاتجاه الجماعي في الاقتصاد الإسلامي، لتغليب مصالح الأكثرية الفقيرة الكادحة.

٦ - على الأمة الإسلامية في هذه المرحلة التاريخية الحرجة وهي تحاول مواجهة سلبيات العولمة، امتلاك مشروع حضاري قادر على تعبئة جميع الطاقات والفعاليات الروحية والمادية والبشرية، مما يضمن لها مواجهة الأزمة من كافة جوانبها، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية... إلخ.

٧ - على وسائط التربية الإسلامية القيام ببث التوعية الرشيدة بين الشباب، حتى يتفهموا الأوضاع التي تحيط بهم. والمشروع الحضاري الإسلامي لا يفصل الدنيا عن الآخرة؛ لأن الدنيا مزرعة الآخرة، والإسلام دين عمل بقدر ما هو دين الإيمان، فالعمل في ذاته مطلوب من المسلم مأمور بالقيام به، وقد وجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى العمل حتى وإن قامت الساعة، فقد ثبت عنه أنه قال: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها» رواه البخاري في الأدب المفرد. لذا ينبغي التأكيد على أهمية انخراط الشباب في سوق العمل حيث لا يمكن للأمة العربية والإسلامية أن تواجه تحديات العولمة ونسبة البطالة فيها تصل ١٤٪ كما تشير آخر الإحصائيات.

٨ - الدعوة إلى التكامل بين الدول الإسلامية، من أجل تبادل المصالح والمنافع، وتحقيق مستوى أفضل من المعيشة، وتجنب الأزمات الاقتصادية التي تواجه جميع الأقطار الإسلامية، لذا فإن أنجع السبل لمواجهة سلبيات العولمة في عالمنا الإسلامي، التكتل الاقتصادي كخيار وحيد للتعامل مع العولمة.

٩ - إن الأزمة الحقيقية لأمتنا الإسلامية، هي أزمة فقدان الثقة بقدراتها على الفعل، والمشاركة الإيجابية في صنع الأحداث وتجاوز الأزمات، فحري بالأمة الإسلامية أن تخرج من حالة الهزيمة الحضارية التي تقع

فيها، وأن تقوم بإعادة بناء الثقة في المسلم المعاصر، الذي يستوعب حضارة عصره، والمتمسك بدينه وقيمه، والقوي بإيمانه، الذي يستطيع أن يصمد أمام كل عواصف العولمة وينتصر في النهاية لثقته التامة بأن الله ينصر رسله والذين آمنوا.

١٠ - لقد امتزجت في مطلع عقد التسعينات نظريتان مصدرهما الأساسي أمريكا، الأولى كان رائدها (صموئيل هنتجتون) وعنوانها «صراع الحضارات»، حيث تخللت نظريته مقولة الصراع الحضاري القادم بين الغرب والإسلام، والثانية كان رائدها (فوكوياما) بعنوان «نهاية التاريخ»، والتي وصلت إلى خلاصة مفادها أن الحضارة الغربية قد انتصرت على غيرها، وهي الحضارة الوحيدة القائمة الآن. وفي ظل هذا الواقع على الأمة الإسلامية أن تصحى من غفوتها، وأن تعيد بناء حضارتها من خلال الاهتمام بالعلم والتقنية، والقيم والأخلاق، والمال والاقتصاد، والقوة والإرادة، حتى تستطيع أن تواجه تيار العولمة الكاسح.

The Role that Islamic Education may Play in Confronting the Challenges of Globalization

Dr. Mohammed S. Othman
Bisha Teacher's College, KSA

Abstract

The study is an attempt to explore the essence, the bearings and the means of globalization. The diversity of responses to this phenomenon of globalization takes the froms of total acceptance, complete rejection and neutrality. To people who propagated and admired it, it is a cultural breakthrough. To the others who rejected it, it is a cultural and educational conquest; thereby, they strongly warned against it. Thus theoreticians are divided into optimistic opponents and pessimistic exponents. As this study continues, it unfolds the positive and negative aspects of globalization and the role of Islamic education in facing it.

The objectives of the descriptive method applied in this study are manifold: analyzing the existing relationships and phenomena, interpreting the implied issues, and answering the relating question. So as this study concludes, some functional findings have been suggested that may help Muslim community confront the challenges of globalization without being diluted or blindly following the West.

المراجع

١ - أحمد، أحمد عبدالرحمن (١٩٩٨). العولمة: المفهوم، المظاهر والمسببات. جامعة الكويت، **مجلة العلوم الاجتماعية**، ٢٦ (١).

٢ - إسماعيل، عبده سعيد (١٤١٦هـ). **أزمة المديونية الأجنبية في العالم الإسلامي**. بيروت، دار ابن حزم.

٣ - إسماعيل، عبده سعيد (٢٠٠١م). **العولمة والعالم الإسلامي أرقام وحقائق**. جدة، دار الأندلس الخضراء للنشر.

٤ - آل عمرو، محمد بن عبدالله (١٤٢٢هـ). نحو توجيه إسلامي للعلوم التربوية. **المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل**، ٣ (١).

٥ - البابا، طلال (١٤٠٦هـ) **قضايا التخلف والتنمية في العالم الثالث**. بيروت، دار الطليعة.

٦ - الببلاوي، حازم (١٤٢١هـ). النظام الاقتصادي الدولي المعاصر. **سلسلة عالم المعرفة**، عدد ٢٥٧.

٧ - البيلاوي، حسن حسين (١٩٩٣م). التنمية الثقافية والتنوير - مدخل إلى محو الأمية رؤية نقدية. القاهرة، **مجلة التربية المعاصرة**، العدد (٢٩).

٨ - جابر، جابر عبدالحميد، وأحمد خيري كاظم (١٩٨٦م). **مناهج البحث في التربية وعلم النفس**. القاهرة، دار النهضة العربية.

٩ - الجابري، محمد عابد (١٩٩٨م). العولمة والهوية الثقافية: عشرة أطروحات. **المستقبل العربي**، ع٢٢٨.

١٠ - جارودي، روجيه (١٩٩٩م). **الولايات المتحدة الأمريكية طليعة الانهيار**، ترجمة كمال علي جادالله. بيروت، النهار للطبع والنشر.

١١ - جريشة، علي محمد، ومحمد شريف الزبيبق (١٩٧٨م). **أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي**. القاهرة، دار الاعتصام.

١٢- الجنزوري، محمد منير علي (١٩٩٩م). الاستنساخ: القصة الكاملة. **سلسلة اقرأ**، القاهرة، دار المعارف.

١٣- حجازي، مصطفى (١٩٩٩م). العولمة والتنشئة المستقبلية. **مجلة العلوم الإنسانية**، جامعة البحرين.

١٤- حمد العباد، عبدالله (١٩٩٧م). نموذج مقترح لتطوير السلم التعليمي في المملكة العربية السعودية. الرياض، وزارة المعارف، **مجلة المعرفة**، العدد (١٩).

١٥- حمدان، إبراهيم بن محمود (١٤٢٤هـ). عولمة اللغة أم لغة العولمة. **ندوة العولمة وأولويات التربية**، كلية التربية، جامعة الملك سعود بالرياض.

١٦- الخضيري، محسن أحمد (٢٠٠٠م). **العولمة مقدمة في فكر واقتصاد وإدارة عصر اللادولة**. القاهرة، مجموعة النيل العربية.

١٧- الديك، اسكندر (١٤١٣هـ). **اليونسكو - الصراع الدولي حول الإعلام والثقافة**. بيروت، المؤسسة الجامعية.

١٨- ردود، صلاح بن (١٤٢٤هـ). **دور التربية الإسلامية في مواجهة التحديات الثقافية للعولمة**. جدة، مكتبة السواري.

١٩- زيادة، مصطفى عبدالقادر وآخرون (١٤٢٥هـ). **الفكر التربوي - مدارسه واتجاهات تطوره**. الرياض، مكتبة الرشد.

٢٠- شاهين، عبدالصبور (١٤٢٠هـ). العولمة جريمة تذويب الأصالة، نحن والعولمة من يربى الآخر. الرياض، وزارة المعارف، **مجلة المعرفة**، العدد (٧).

٢١- صارم، سمير (١٤٢١هـ). **معركة سياتل حرب من أجل الهيمنة**. بيروت، دار الفكر المعاصر.

٢٢- الضبيب، أحمد بن محمد (١٤٢٢هـ). **اللغة العربية في عصر العولمة**. الرياض، مكتبة العبيكان.

٢٣- عائل، حسن بن (١٤٢٥هـ). العولمة والثقافة، ندوة تداعيات العولمة، تجليات ومواجهات. إعداد مركز البحوث والدراسات، كلية المعلمين، جدة.

٢٤- عثمان، محمد الصائم (١٩٩٦م). التغيرات المجتمعية وانعكاساتها على تعليم الكبار في السودان. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس.

٢٥- عشقي، أنور ماجد (٢٠٠٢م). **العولمة وأبعادها الاستراتيجية**، ط(١). إصدارات مركز الشرق الأوسط.

٢٦- عطية، عماد محمد محمد (١٤٢٥هـ). **التربية الإسلامية مصادرها وتطبيقاتها**. الرياض، مكتبة الرشد.

٢٧- فرحان، اسحق (١٤٠٢هـ). **التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة**. عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع.

٢٨- الفيفي، إبراهيم بن مسعود (١٤٢٥هـ). رؤية في ظاهرة العولمة: التاريخ والأثر والمواجهة، في ندوة تداعيات العولمة، تجليات ومواجهات. مركز البحوث والدراسات، كلية المعلمين بجدة.

٢٩- الماحي، عبدالنور محمد (١٤٢٥هـ). تجليات العولمة. ندوة تداعيات العولمة تجليات ومواجهات، جدة، كلية المعلمين بجدة.

٣٠- محمود، إبراهيم (١٩٩٨م). العولمة هل هي انفجار الهوية؟ **الفكر العربي**، ع(٩٣).

٣١- محمود، إبراهيم وجيه ومحمود عبدالحليم منسي (١٩٨٣م). **البحوث النفسية والتربوية**. القاهرة، دار المعارف.

٣٢- هانس، بيتر مارتين، وهارالد شومان (١٤١٩هـ). فخ العولمة - الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية، ترجمة عدنان عباس علي. الكويت، **سلسلة عالم المعرفة**، عدد (٢٣٨).

٣٣- هاني، إدريس (١٩٩٨م). **العولمة والغرب أية علاقة أي رهان؟** بيروت، دار الاتحاد.

٣٤- الياسين، عبدالرحمن أبكر (١٤٢٢هـ). **العولمة والأمن**. الرياض، دار طويق للنشر والتوزيع.

35 - Coles, E. T. (1979). **Adult Education in Developing Countries.** New York, Pergamon Press.

36 - Dave, R. H. (1976). **Foundation of Life-Long Education.** New York, Pergamon Press.

37 - Edgar, F., and Others (1972). The Learning to be, The World of Educatin today and Tomorrow. Unesco.

38 - Illich and E. Nerme (1976). **Imprisoned in The Global Classroom.** New York, Writers & Readers.

39 - Logchar, A. Wati, Globalization and its Challenges for Theological Education, Featured Paper, http://cca.org.hk/resources/papers/issues/glob-wati.htm.

40 - http://www.aliman.org/awlama.thm.

41 - http://www.alzatari.org/motamarat/6.htm.